الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
جامعة المنصورة

الجوانب الأمنية في الشريعة الإسلامية

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

الناشر
دار الأصدقاء بالمنصورة

www.geocities.com/abu_elkher
www.askzad.com
abu_elkher@yahoo.com

الإهـــداء

إلى العلامة محمد فؤاد عبد الباقي

صاحب السفر الجليل (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) الذي أصبح ركيزة مهمة في كل دراساتي وبحوثي والتي تتكئ على مسألة مهمة ، خاصة في التعامل مع ألفاظ العربية ، ألا وهي خريطة اللفظة في القرآن الكريم ، هل ذكرت في كتاب الله ، وإذا لم تُذكر ، بحثنا عن السبب ، فإن وجدناها في القرآن مثبتة مذكورة ، بحثنا عن خريطتها في الكتاب الكريم ، كم مرة وردت ، وما الصيغة التي جاءت عليها ، من الأسماء، من الأفعال، من المشتقات، ما السياق الذي جاءت من خلاله ، أسباب النزول ، ما هي الآيات التي جاءت قبلها وبعدها ؟؟

وقد استخدمنا هذا المنهج بدءا من كتابنا (من ألفاظ اللغة في القرآن الكريم) وإلى آخر دراسة ، وهي التي بين أيدينا الآن عن الجوانب الأمنية في الشريعة الإسلامية حيث بدأنا بخريطة اللفظتين (الشريعة ـ الأمن) في القرآن العظيم ، فحددنا معانيهما قبل الرجوع إلى المعاجم العربية لمعرفة هاتيك المعاني.

ولذا فمن حق هذا الرجل ، ومن حق هذا السفر الجليل أن نهدي إليه ـ أو إليهما ـ هذي الدراسة التي نسطرها لقارئي لغتنا العربية.

د . أحمد مصطفى أبو الخير
خادم اللغة العربية

تقدمة الدراسة

الجوانب الأمنية في الشريعة الإسلامية ؟! عنوان قد يفجأ القارئ أو السامع ، ومن ثم علينا أن نبدأ الحكاية من البداية ، فعندما كنت أعمل في الحاضرة الأكرانية كييف [1] أو كيابة ـ محلاة أو غير محلاة بالألف واللام ـ كما سماها أجدادي العرب ، في هذه العاصمة التي يلفها الضباب في شتاء طويل مزدان بالبرد الشديد والثلوج التي ينهمر رذاذها أيام الشتاء ولياليه ، كانت هناك تحذيرات صارمة من أصدقائي المقربين المخلصين بعدم التجول والخروج من السكن بالليل ، وإلا وإلا.

دائما يحكون لي أن الشرطة إذا وجدت أحدا لا يعرف الروسية ، وليس معه أوراق ثبوتية ، أو إقامة شرعية ساقته إلى السجن ، مهما كان منصبه أو وظيفته الدبلوماسية أو غيرها.

وبالفعل حاولت الالتزام ـ قدر الطاقة والوسع ـ الانتصاح بما به نصحت ، ومنه حذرت ، وفي ليلة من الليالي الساعة التاسعة إلا الثلث ليلا ، جاءني طالب لبناني ـ وكان أثيرا إلى قلبي ـ يطلب أن نذهب معه لتوصيل ضيف كان يزوره إلى منزله ، وكان معه زميل آخر ، ولا أدري لماذا اختارني لأصاحبهم ، خاصة أنهم كانوا ثلاثة.

ذهبنا نحن الأربعة ، ركبنا إلى محطة المترو القريبة جدا من السكن ، ركبنا المترو، وكان شبه شبه خال / خالي تماما ، وعند العودة حوالي الساعة ١١ كان كل عربة في المترو فيها امرأة واحدة أو اثنين على الأكثر من الركاب ، يا إلهي !! بالنهار هذا القطار يمتلئ عن آخره ، عن آخره ، بجحافل الركاب من كل حدب

(١) ١٩٩٨ ـ ١٩٩٩.

وصوب ، ولكن الأمر الآن جد جد مختلف ، وبالفعل ، الليل موحش حتى في هذا الوقت المبكر الأول منه ، على الأقل بالنسبة لنا ، نحن المصريين.

وفي اليوم التالي ذهبت إلى أصدقائي ، وقلت لهم بشكل استعراضي ممازح : لقد خرجت بالليل وعدت في الحادية عشرة ، ولم آبه بأية أخطار أو مشكلات ، لكن القوم قابلوا كل هذا المزاح والاستعراض بالحزم والصرامة والتحذير الجاد القاطع بعدم التجول بالليل في تلك المدينة.

وعندما قارنت هذا كله بما نحن عليه في مصرنا ، وفي عالمنا العربي والإسلامي، الأمر جد مختلف، فقد تعودت على السير والتجوال في بلادي ليل نهار ، أو خاصة بالليل ، ولو في وقت متأخر مع إحساس كامل بالأمن والأمان ، ليس في مصرنا فقط ، في الديار المقدسة ، نتحرك بالليل إلى الحرم إلى غيره ، قبل الفجر ، قبيله بعيده ، لا فرق ، وعندما زرت بيروت ٢٠٠٥ / ٢٠٠٦ كنت أتجول سيرا على القدم ، وفي وقت متأخر بالنسبة للبيروتيين ، حيث تغلق المحلات غالبا السابعة مساء ، مع كامل الإحساس بالأمن والأمان.

والشيء بالشيء يذكر هنا فلا يعاب ، ولا ينكر ، إذ يحكي لي ابني الذي كان يدرس في القاهرة أنه في الساعة الرابعة فجرا ذهب ليشتري طعاما ، وفي ذياك الوقت المتأخر من السحر ، فوجد كمينا للشرطة في طريقه ، وفي هذه الحالة نفذ الولد نصائح أبيه بأن عليه قبل يسأل أن يجيب : فلان الفلاني ، ابن فلان الفلاني الأستاذ بجامعة كذا ، وأنا ذاهب إلى المكان الفلاني بغرض كذا.

وبالفعل اقتنع الشُرَط بما قال الولد ، ولكنهم نصحوه أن لا ينزل من البيت في هذا الوقت المتأخر من الليل ، والحق أن أحدا مهما كانت شجاعته أو حتى عنتريته

يستطيع أن يغادر بيته لأي غرض في كيف أو في غيرها من الحواضر والمدن الأوروبية أو غيرها ، في مثل ذياك الوقت.

وساءلت نفسي : ما هو السبب في هذا الأمان الذي نحس به في ليل بلادنا في حين يفتقده غيرنا ، لا يجدونه ، ولا يتخيلونه ؟ وقلت في نفسي ، السبب هو الإسلام ، الشريعة الإسلامية ، كيف ؟

أنا أقول لك : الصلاة المفروضة خمس صلوات على مدى الساعة ، ثلاث منها بالليل ، أي ٦٠% منها تقام ليلا ، المغرب ، العشاء ، الفجر ، صلاتان فقط في النهار ، هما الظهر والعصر ، ٤٠% فقط من الصلوات المفروضات ، كما أنهما يمكن أن يجمعا في وقت واحد.

ناهيك عن قيام الليل ، وتراويح رمضان ، وصلاة التهجد ... الخ ، كل هذا يؤدي إلى تواجد جزء من المجتمع وهو مستيقظ غير نائم ، سواء في المساجد أو البيوت ، أو الطريق بينهما ، وهو ما يجعل المرء يحس بالأمن والأمان في أي وقت من أوقات الليل.

ولكن هذي الفكرة الموجزة المقتضبة تحتاج إلى تفصيل مقنع للقارئ الكريم ، وهو ما سيكون في الصفيحات التاليات ، بعد أن فرغنا - بحوله وطوله - من تقدمة الدراسة.

أ.د. أحمد مصطفى أبو الخير
آداب دميـــــاط
١١ / ٥ / ٢٠٠٨ م

التعريف بالمصطلحات

عندنا مصطلحان رئيسان في الدراسة وجب علينا التعريف بهما ، هما (الأمن) و (الشريعة) نبدأ بالأول ، ونختم بالثاني :

أولا : الأمن :

نسأل أنفسنا ، ما معنى هذي الكلمة ؟ نبدأ بما نجده في القرآن الكريم ، ثم في أحاديث النبي الأكرم (ﷺ) ثم المعاجم العربية ، القديمة والحديثة ، ولكن باختصار مناسب ، وغير مخل - إن شاء رب العزة - نبدأ بالكتاب العزيز : وقعت كلمة (أمن) معرفة بالألف واللام ثلاث مرات [1] ، هن :

١- (وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ...) [2] هذي إشارة إلى التثبت من الأمر قبل إفشائه وإذاعته ، فربما لا يكون فيه شيء من الصحة [3].

٢- (فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [4] والفريقان هما المؤمنون والمشركون [5] ، ولقد أجابت الآية عن التساؤل السابق ، فصرحت بأن :

٣- (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) [6] والظلم هو الشرك.

وجاءت كلمة (أمنا) منصوبة منكرة مرتين فقط ، لا غير :

(١) عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص٨٩.
(٢) سورة النساء ، الآية ٨٣.
(٣) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، انظر ٥٢٩/١.
(٤) سورة الأنعام ، الآية ٨١.
(٥) تفسير النسفي : ٢١١٢.
(٦) سورة الأنعام ، الآية ٨٢.

١- ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ [١] بيت الله الحرام في مكة ، والمثابة معناها : الملجأ ، أو موضع الثواب[٢]، الذي يأتيه الناس بتكرار واستمرار، ومن كل مكان.

٢- ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ [٣] أي الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً ...﴾. فما معنى الأمن في المواضع الخمسة التي سلفت ، إنه (الاطمئنان [٤] والحفظ).

ولكن القرآن الكريم استخدم كلمة أخرى غير (الأمن - أمنا) هي (آمنة) بالتاء ، فما الفرق بينهما وبين (أمْن) بدون التاء ؟ وما هي المواضع التي وردت فيها الكلمة بالتاء ؟.

وفي الإجابة نقول : وردت مرتين ، وفي مناسبة واحدة هي غزوة بدر - في السنة الثانية للهجرة - هما :

١- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً﴾ [٥].

٢- ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [٦].

في معركة بدر كان الخوف شديدا لدى المسلمين ، لقد خرجوا للقافلة ، فيها حراس قليلو العدد والعدة ، وهاهم يواجهون بجيش عرمرم ، قوامه بين التسعمائة والألف ، مقاتلون بكامل عتادهم وعددهم ، على رأسه حوالي خمس عشرة من الزعامة القرشية ، على رأس رأسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وعمرو بن هشام ... أو كما قال القائد (ﷺ) : (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها) [٧] أعز ما لديها.

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٢٥.
(٢) مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ٢١١/١.
(٣) سورة النور ، الآية ٥٥.
(٤) معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ١ / ٨٨.
(٥) سورة آل عمران ، الآية ١٥٤.
(٦) سورة الأنفال ، الآية ١١.
(٧) ابن هشام : السيرة النبوية ، ١١٧/٢.

ولذا كان هذا الخوف الشديد والغم الذي عالجته العناية الإلهية بهذا النعاس (أمنة منه) تعالى ، هدية منه لهم ، ومن ثم أرى أن التاء في (أمنة) للمبالغة ، أي شدة الأمن ، وليس الأمن فقط.

بقي أن نذكر مشتقا واحدا نحتاجه من مشتقات كلمة (الأمن) وهو الفعل (آمن) في سورة قريش أمر إلهي لهؤلاء القوم : (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ).

وفي حديث سيد الخلق (ﷺ) سوف نبحث عن نفس المصدر (الأمن) وقد رأيناه في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث [1] النبوي - الذي فهرس تسعة من مصادر الحديث - رأينا اللفظ في هذا المصدر وقع تسع مرات ، منها : (قال : ملأه الله أمنا وأمانا) [2] وكما جاء في البخاري [3] (باب الأمن وذهاب الروع في المنام)

كما وقعت (أمنة) أيضا ولكن ثلاث مرات ، ففي صحيح [4] مسلم : (فرفع رأسه) (ﷺ) فقال : (النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم، أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون).

القرآن الكريم نص أن وجود محمد (ﷺ) بين القوم هو أمان لهم من العذاب ، إضافة إلى الاستغفار ، فقد بلغ من شدة عناد المشركين أن (قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ) كما حدث لأصحاب الفيل (أو

---

(١) ١١٩/١.
(٢) رواه أبو داود في باب (الأدب).
(٣) باب التعبير.
(٤) باب فضائل الصحابة.

ائتِنا بعَذَابٍ أَلِيم) [1] غيره ، القرآن يؤكد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [2] فالاستغفار أمان آخر مستمر غير منقطع ، في حين رفع الأمان الأول بموته (ﷺ) ، وهذه من الله رحمة ورأفة بالمؤمنين ، والناس أجمعين.

ويقول الله تعالى : (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا [3] دُعَاؤُكُمْ ...) فالدعاء - مثل الاستغفار - أمنة من الله لعباده من كوارث الدنيا وفواجع الدهر ، وكذا هو أمنة من عقاب الله في الآخرة ، ففي الحديث الشريف : الدعاء يرد البلاء [4].

وعليه وقعت كلمة (الأمن) معرفة ثلاث مرات في القرآن الكريم ، ووقعت غير محلاة بالألف واللام ومنصوبة مرتين - كما سلف - في حين جاءت كلمة (أمنة) مرتين ، ليس إلا ، وفي الحديث أشرنا إلى ما وقع فيه من هذي الألفاظ.

وننتقل إلى معاجم العربية ، نختار أكبر وأوسع معجمين في العربية ، هما لسان العرب لابن منظور ، ثم المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية في القاهرة الذي صدر منه إلى العام - ٢٠٠٧ - سبعة مجلدات ، وصلت إلى حرف الدال فقط ، ثمانية أحرف ليس إلا - شغلت سبعة مجلدات ، هي حروف : (الألف - الباء - التاء - الثاء - الجيم - الحاء - الخاء - الدال).

نبدأ أولا بلسان العرب ، ثم نثني بالمعجم الكبير ، وسوف نركز على المصدر فقط ، لا نتعرض لغيره إلا ضرورة بقدرها ، كما فعلنا مع ألفاظ القرآن الكريم.

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٣٢.
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٣٣.
(٣) سورة الفرقان ، الآية ٧٧.
(٤) العجلوني : كشف الخفاء... ٤٠٣/١.

الأمن : ضد الخوف ، والأمنة الأمن ، وفي حديث نزول المسيح ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ وتقع الأمنة في الأرض ، أي الأمن ، يريد أن الأرض تمتلئ بالأمن ، فلا يخاف أحد من الناس والحيوان ، وفي الحديث : (النجوم آمنة السماء [١]...) وقد سبق نصه.

ويتابع ابن منظور فيقول : أنت في أمن من ذلك أي أمان ، ورجل (أَمَنَة) يأمن من كل أحد ، وقيل يأمنه الناس ، ولا يخافون غائلته ، وأمنه موثوق به مأمون ، ورجل (أمنه) بالفتح أيضا إذا كان يطمئن إلى كل واحد ، ويثق بكل أحد ، وكذلك الأمنة مثال الهُمزة [٢] ، أي التاء فيها للمبالغة ، وليس للتأنيث.

انتهينا من لسان العرب ، ونثني بالمعجم الكبير [٣] :

الأمن : طمأنينة النفس وزوال الخوف عنها ، والأمن العام سلامة المجتمع من الجرائم ، ومجلس الأمن التابع للأمة المتحدة ، والأمَنَة الأمن.

اكتفينا بهذا الاقتباس عن معجمنا الكبير ، لنشير إلى أن كلمة (أمن) موجودة مذكورة في القرآن الكريم وفي أحاديث سيد الخلق (ﷺ) ـ كما سلف ـ وفي معاجم العربية القديمة والحديثة ، والكلمة بمعنى طمأنينة النفس وزوال الخوف عنها.

وتفرعت عنها معان ومؤسسات محلية ودولية ، مثل مجلس الأمن والأمن العام ، وأمن الدولة ، وأمن الوطن ، وأمن المواطن ، وأمن الرئاسة وأمن السفارة أو القنصلية ، وأمن الشركة ، وأمن المؤسسة ، وأمن الوزارة ، الجهة المسئولة والحراس المسئولون عن الوزارة أو المؤسسة أو الشركة.

---

(١) لسان العرب ، مادة (أ م ن).

(٢) السابق ، في التنزيل : (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ) الهمزة من يعيب المرء في غيابه ، واللمزة من يعيب في حضرته وأمامه.

(٣) مادة (أ م ن).

وفي عصر الرئيس الراحل محمد أنور السادات ـ ١٩٧٠ / ١٩٨١ ـ راج على لسانه تعبير (الأمن الغذائي) وبين الناس وفي الإعلام ، حتى قامت مؤسسات وشركات ومحلات تحت هذا العنوان (الأمن الغذائي) محاولة توفير الغذاء لسكان مصر الذين تتزايد أعدادهم ، ولكن هذا التعبير بمؤسساته بدأ يختفي ، ومنذ مات صاحبه ١٩٨١.

ثم عاود ذيّاك المصطلح الظهور مرة أخرى عامنا هذا ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨م ، في خِضم ما يسمى بأزمة الغذاء العالمية ، أو التي أريد لها أن تكون عالمية ، وما أراها إلا مفتعلة مفتعلة ، كي يبرر أغنياء العالم للفقراء المساكين المحاولات المستميتة للغلاء الفاحش في أسعار السلع خاصة الغذائية ، التي يراد لها من متحكمي العالم والمحتكرين أن تكون فوق قدرات الناس واستطاعتهم.

فكيف عاود المصطلح ظهوره ؟؟ أعلنت وسائل الإعلام في ٢٠٠٨/٥/٣١ أن مؤسسة الأغذية والزراعة (الفاو) ستنظم مؤتمرا في روما الحاضرة الإيطالية بعنوان : (الأمن الغذائي) وبموازاته في ذات الحاضرة مؤتمر آخر للصيادين ومؤسسات المجتمع المدني لذات الغرض ، فهل يحيا مصطلح الأمن الغذائي مرة أخرى ؟ المستقبل القريب كفيل بالإجابة.

هذي كليمة كانت ممهدة للجوانب الأمنية في الشريعة الإسلامية ، الجوانب التي تجلب الطمأنينة لمجتمعاتنا ، وتزيل عنه الخوف والقلق ، فما هي هاتيك الجوانب الأمنية ؟ قبل أن نفصّل الإجابة نشير إلى كليمة حول مصطلح (الشريعة) فنقول :

ثانيا- الشريعة :

وقعت في القرآن الكريم لفظتان ، هما (شرعة وشريعة) معطلة من الألف واللام ، ثم (شُرّعا) أما الفعل فقد جاء مرتين (شرع [1] شرعوا) وهاك التفيصيل ، تصغير تفصيل :

١- (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ) [2] شريعة : طريقة وسنة ومنهاج ، وعن ابن عباس : على هدى من الأمر، وبينة ، والشريعة : الفرائض والحدود والأمر والنهي ، والشريعة الدين [3].

٢- (فَاحْكُم بَيْنَهُم) بين اليهود وبين الناس عامة (وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً) [4] فالشرعة : السبيل والسنة ، الشرعة هي الشريعة أيضا ، هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء ، ومن ثم يقال شرع في كذا ، أي ابتدأ فيه ، وكذا الشريعة وهي ما يشرع فيه إلى الماء [5].

وقد يكون الفرق بين الشرعة والشريعة أن الأولى استخدمها القرآن عند إرادة الممايزة والمغايرة عن باقي الشرائع الأخرى ، أما في الأحوال الأخرى غير إرادة الممايزة والمغايرة والمقارنة فقد استخدم القرآن (الشريعة) وهي التي يستخدمها الناس - وليس شرعة - إلى يومهم هذا.

٣- (إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً) [6] الحيتان جمع حوت وهي الأسماك ، وشُرّعا جمع شارع ، أي ظاهر [7] سابح على سطح الماء ، يأتي

(١) عبد الباقي : المعجم المفهرس ، ص٣٧٨.
(٢) سورة الجاثية ، الآية ١٨.
(٣) الطبري : جامع البيان ، ٨٨/٢٤.
(٤) سورة المائدة ، الآية ٤٨.
(٥) تفسير ابن كثير ، ٦٦/٢.
(٦) سورة الأعراف ، الآية ١٦٣.
(٧) تفسير ابن كثير ، ٢٥٧/٢.

من كل مكان ، ويتجمع أمامهم في مكان واحد ، دانية منهم قريبة.

٤ـ بقي الفعل (شرع) وقد جاء مسندا للمفرد مرة واحدة ، وللجمع أخرى :

أ ـ (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) (١) شرع : بيّن (٢) ووضح.

ب- (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ) (٣) شركاؤهم : شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا فقط ، هذا الدين الذي شرعته لهم هؤلاء الشياطين ، تعالى الله أن يأذن بهذا الضلال (٤).

والآن هل وقعت لفظة الشريعة في الحديث النبوي ؟ نعم وردت ، هذا مثال : (لا تزال الأمة على الشريعة ما لم تظهر فيهم ثلاث ، ما لم يقبض منهم العلم ، ويكثر فيهم ولد الحنث ، ويظهر فيهم الصقارون (٥) أولاد الحنث أولاد الزنا (٦) ، أما الصقارون فهم نشء، يكون في آخر الزمان، تحيتهم بينهم إذا تلاقوا (التلاعن) يسب بعضهم بعضا ، يؤذون بعضهم بألسنتهم ، كما يؤذي الصقر غيره من الطيور (٧).

فالشريعة إذن ـ وكما جاء في لسان (٨) العرب ـ ما سنّ الله من الدين ، وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وأعمال البر ، الفرق بين الدين والشريعة أن الأول واحد ، في حين إن الشريعة مختلفة ، من نبي إلى آخر ، أو من رسالة إلى أخرى ، والمقصود بالشريعة كما وصفناها في عنوان الدراسة : (الشريعة الإسلامية) التي

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١٣.
(٢) مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ٦٢٤/١.
(٣) سورة الشورى ، الآية ٢١.
(٤) الكشاف : ٤٠١/٣.
(٥) رواه الإمام أحمد بن حنبل.
(٦) لسان العرب ، مادة (ح ن ث).
(٧) www.sawt-alhaq.com.
(٨) مادة (ش ر ع).

أنزلت على لسان سيد الخلق (ﷺ) وعلى قلبه ، ونقلها إلينا ، إلى أصحابه أولا ، ثم سائر البشر في عرض الدنيا وطولها. فما الفرق بين الشريعة وبين الفقه ؟

١- الشريعة هي الوحي كتابا وسنة ، والفقه أفهام المجتهدين وآراؤهم.
٢- الشريعة معصومة ، لأنها هي الوحي ، والوحي بقسميه (الكتاب والسنة) معصومان ، الكتاب كلام الله ، نصا وحرفا ، والسنة وحي من عند الله معنى ، واللفظ من عند رسوله (ﷺ).
٣- الفقه الإسلامي علم يشمل مسائل الإجماع والاختلاف ، ومن ثم فالفقه غير معصوم في مسائل الاختلاف ، أما مسائل الإجماع فهي معصومة (إجماعهم) أي العلماء (حجة قاطعة - واختلافهم رحمة واسعة).
٤- الفقه الإسلامي مصدره الشريعة (كتابا وسنة) فهو يستمد شرعيته من شريعة الإسلام ، خلافا للقوانين الوضعية وغيرها من الأفهام البشرية [1].

وهذا لا يعني أن القوانين الوضعية محظورة أو مرفوضة ، أو أن الإسلام يحجر على العقول البشرية والأفهام ، وإنما المرفوض ما يتعارض صراحة مع الشريعة الإسلامية ، أو يعمل على تفويت مقاصدها ، أو الإضرار بالبشر أو البيئة ... الخ.

على أية حال فإن موضوعنا هو الجوانب الأمنية في الشريعة الإسلامية ، ما سنّ الله من الدين وأمر به ، مثل الإيمان والصوم والصلاة والزكاة والحج وسائر العبادات والمعاملات والآداب وأعمال البر ، دون أن نتطرق إلى مسائل الخلاف والاختلاف ، لنبقى دوما في إطار وحصار ما اتفق عليه ، وما عليه أجمع - سائلين المولى جل وعلا التوفيق والسداد - ومن القارئ العفو والسماح.

---

(١) السفياني ، د. عابد : الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ، ص٩٩ ، ١٠٠.

جوانب الأمن في الشريعة

ونبدأ بالذي هو خير وأهم ، إنه :

اولا : الإيمان والبراء من الشرك :

ذكرنا قبلا أن نبي الله إبراهيم - عليه السلام - تساءل : (فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ ؟) المؤمنون أو الكافرون ؟ الإجابة : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) [1] ، فالإيمان الذي لا يخالطه شرك هو سبب مهم من أسباب أمن الإنسان واطمئنانه ، وبعده عن الخوف والقلق ، اطمئنان إلى أن كل شيء ، في هذي الدنيا يتم بقدر الله وقدرته وحده ، الرزق والأجل والنفع والضر والصحة والمرض والغنى والفقر ... كل هذا وغيره بيد الخالق وحده ، إن هذا مؤدي إلى كامل الأمن والاطمئنان [2].

آية النور [3] أضافت شرطا آخر ، هو (عمل الصالحات) : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ؟)

بماذا وعدتهم يا الله ؟

- لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ .
- وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ .
- وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً .

يؤكد القرآن أن الأمن عكسه الخوف ، تماما كما جاء في سورة قريش : (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ).

(١) سورة الأنعام ، الآية ٨٣.
(٢) الاطمئنان.
(٣) الآية ٥٥.

لكن رب العزة اشترط على الذين آمنوا وعملوا الصالحات كي يعطيهم تلك العطايا الثلاث : (الاستخلاف والتمكين والأمن) اشترط لنفسه عليهم (يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً) ثم تختم الآية بهذا التهديد (وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) أي بعد الاستخلاف والتمكين والأمن (فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ).

ثانيا : الاستغفار والدعاء :

في القرآن الكريم : (وَإِذْ قَالُواْ) ماذا قال هؤلاء المشركون ؟ قالوا : (اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ؟ ....) فماذا هم صانعون ؟ أيؤمنون بهذا الحق الذي جاءهم به محمد ؟ كلا وألف كلا ، أيكفون عن محمد ، أيخلون بين الرجل وبين ما يقول ؟ لا يا صاح ، إن كان هذا هو الحق فإنهم يدعون الله : (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ولكن الرب الشفيق الشفوق الرحيم بالعباد حتى لو فجروا وطغوا يرد عليهم : (وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ) إن وجوده (ﷺ) هو أمان للناس من عذاب الدنيا - والآخرة أيضا ، فإذا مات وضع أمان آخر ، هو الاستغفار : (وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) [1].

وهذي بعض الآيات التي تشير إلى دور الاستغفار في حياة الإنسان وأمنه وأمانه :

١- هذا طرف من حوار نوح مع قومه : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً) فقط ؟ كلا ، هذي بعض ثمار الاستغفار ، وفي ذات السورة :

- يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً.
- وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ.
- وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً.

---

(١) سورة الأنفال ، الآيات ٣٢ ، ٣٣.

كل هذي النعائم بسبب الاستغفار ؟ نعم وأكثر ، فإذا استبطأ الإنسان الرزق أو الولد استغفر الله ليعطيه ما طلب ، فعن علي ـ نضر الله وجهه ومحياه ـ : (أكثر الاستغفار تجلب الرزق [1]).

٢ ـ وفي آية أخرى مدح للاستغفار أو قل للمستغفرين ، لكن في أي وقت ؟ في هدأة الليل وهجعة الناس : (... لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) كل هذا جزاء وفاقا على أعمالهم ، فما هي تلك الأعمال التي استحقت كل هذي النعائم من رب العالمين ؟ إنها الإيمان والاستغفار والدعاء : (الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) الآية التالية تذكر خمس صفات أخر ، هن : (الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) [2].

وانظر عزيزي القارئ إلى هذي الصفة الأخيرة ، إنها (المستغفرين) فقط ؟ كلا، والاستغفار هل كان منهم في أي وقت ؟ كلا ، لقد كان بالأسحار ، وقت السحر ، عند هدوء الليل وهجعته يأتي الاستغفار من هؤلاء الناس ليكونوا حراسا على أنفسهم وأسرهم وجيرانهم من الحوادث والسرقات والنسيان ، عبادة لها جانب أمني واضح.

وبعد الاستغفار نتحدث عن الدعاء ، نستفتح بالذي هو خير ، آية في سورة الفرقان : (قُلْ) أي : قل يا محمد : (مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ...) لولا دعاء بعض الناس في المجتمع ما كان الله ليعبأ بنا أو ينظر ، أو يلتفت إلينا برحمته ونعمه وتحننه علينا.

---

(١) الطباطبائي : الميزان ٣٨/٢٠.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٧.

وفي الحديث : (من لم يدع الله سبحانه غضب عليه [1]) فكأن الدعاء أمان من غضب ربنا ، وسبب لرحمته ومغفرته - جل وعلا - وفي الحديث أيضا : (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء [2]).

وننتقل من الاستغفار والدعاء إلى مسألتين في موضوع الرزق ، واستمطاره واستدراره ، إنهما :

ثالثا : صلة الرحم والصدقة : وهذي بعض الأحاديث الشريفة [3] :

- من أحب أن يبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه [4].
- تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة الرحم محبة في الأهل ، مثراة في المال ، منسأة في الأثر.
- عن أمير المؤمنين ، على بن أبي طالب عن النبي الأكرم (ﷺ) قال : (من سره أن يمد له في عمره ويوسع له في رزقه ، ويدفع عنه ميتة السوء فليتق الله ، وليصل رحمه).
- عن ابن عباس عن سيد الخلق : (مكتوب في التوراة : من أحب أن يزاد في عمره ويزاد في رزقه فليصل رحمه).
- إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ، ويدفع بهما ميتة السوء ، ويدفع بهما المكروه والمحذور.
- إن الله ليعمر بالقوم الديار ، ويثمر لهم الأموال ، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم !! قيل : وكيف ذاك يا رسول الله ؟ قال : بصلتهم أرحامهم.

---

(١) سنن ابن ماجة : حديث رقم ٣٨٢٧.
(٢) السابق ، حديث رقم ٣٨٢٩.
(٣) المنذري : الترغيب والترهيب ٢٢٣/٣ ، ٢٢٤.
(٤) يُنسأ : يؤخر له في أجله ، المرجع السابق.

- .... وصلة الرحم وحسن الجوار ، أو حسن الخلق يعمران الديار ، ويزيدان في الأعمار.

ونكتفي بما سبق في الأحاديث عن صلة الرحم والصدقة ، لنؤكد أنهما أمان من الفقر ومن ميتة السوء ومما يكره ويحذر من مصائب هذي الحياة ، وهما أيضا طريق لزيادة العمر فضلا عن البركة والنماء في الرزق ، وقد أضاف إليهما سيد الخلق - عليه وآله الصلاة - حسن الجوار وحسن الخلق.

ونضيف بأن التعاون مع الأسرة والأقارب وحسن الخلق معهم مما يستمطر من رزق الله علينا وإلينا ، عكس التباغض والتباعد والتنافر وكلها تؤدي إلى الحرمان من رزق الله وسابغ فيوضاته ، خاصة مع ذوي الرحم ، بل إن أعجل الخير ثوابا صلة الرحم ، وهذي بعض الآثار :

- الإمام علي : إن أهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله ، وإن أهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضا فيحرمهم الله ، وهم أتقياء.
- الإمام الباقر : إن القوم ليكونون فجارا ، فيتواصلون فتنمى أموالهم ويثرون.

ومن ناحية أخرى فإن قراءة سورة الواقعة في كل ليلة أمان للمسلم من الفاقة، وهي الفقر والحاجة ، في الحديث الشريف : (من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا [1]).

بقي عندنا عنصر أمن وأمان مهم بالغ الأهمية هو :

رابعا : عنصر الثقلين : ففي الأحاديث الشريفة :

- إني تارك فيكم الخليفتين ، كتاب الله وعترتي ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ

(1) ابن حجر : الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ، حديث رقم ٩٢.

الحوض [1].

- إني تارك فيكم الثقلين من بعدي كتاب الله ـ عز وجل ـ وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض [2].
- إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.
- من أحب أن يحيا حياتي ، ويموت ميتتي ، ويدخل الجنة التي وعدني ربي فليوال عليا وذريته من بعده ، فإنهم لن يخرجوكم من باب هدى ، ولن يدخلوكم في باب ضلالة.
- ألا أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق ، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب [3] حطة في بني إسرائيل ، من دخله غفر له) أي باب مغفرة.
- النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض من الخلاف[4].
- ونختم هذه الباقة من الأحاديث المعطرة بهذا الحديث : (إن القوم يبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا ، فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب : (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي سورة الفاتحة (فيسمعه الله تعالى ، فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة) ... وله شاهد من مسند الدارمي عن ثابت بن عجلان قال : (كان يقال : إن

---

(١) الطبراني : المعجم الكبير ، حديث رقم ٤٩٢٢.

(٢) السابق ، حديث رقم ٤٩٢٣.

(٣) هذا التعبير مقتبس من قوله تعالى : (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) سورة البقرة ، الآية ٥٨ ، وفي الخبر : (من ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطة) والحطة طلب المغفرة ، وهو اسم هيئة من الحط ، ويحكى أن بني إسرائيل إنما قيل لهم : (قُولُوا حِطَّةٌ) ليستحطوا بذلك أوزارهم ، فتحط عنهم ، وتغفر لهم ، المعجم الكبير ٤٥٢/٥.

(٤) الجندي ـ الإمام جعفر الصادق ، ص٤٨ ، ٤٩.

الله ليريد العذاب بأهل الأرض ، فإذا سمع تعليم الصبيان بالحكمة ، صرف ذلك [1] عنهم) يعني بالحكمة القرآن الكريم.

انظروا - قارئي الأكارم - كيف يكون تعليم الصبيان القرآن الكريم أمانا لأهل الأرض من عذاب نزل نزل حتما ، إن هذا يشير إلى دور تعليم القرآن في الصغر ، نقش على الحجر ، ليس على الماء ، هذا الدور الذي يتمثل في فك عقدة اللسان وعجمته ، وحفظ هذا الكتاب.

إن كثيرا من الناس يتساءل : كيف تم تعريب البلدان التي فتحها العرب خارج الجزيرة العربية ؟ لقد كانت الكتاتيب وتعليم الصبيان هذا الكتاب قاطرة هذا التعريب ، والآن يراد لهذي القاطرة أن تحطم ، ولا تعود ، وإلى الأبد ، بتعليم الطفل قبل نعومة أظفاره. ونضج أصابعه ومدركاته كيف يكتب ويقرأ باللغة الأجنبية ، وإنها لإحد الكُبَر، بل كبيرة الكبائر في هذا الزمان ، ليس في حق لغتنا فقط ، بل في حق أبنائنا ، فإنه في هذه الحالة لن يتعلم شيئا ، لا اللغة الأجنبية ولا اللغة القومية.

لقد أخذت الدول الناهضة أو التي أخذت حظا من النهوض بما ينادي به العلم والدرس في تعليم اللغات الأجنبية - أقول الأجنبية - وبالشكل الصحيح الدقيق المعمق فإن عليه أولا وأولا أن يتعلم لغته القومية ، فإن الطفل يتعلم أولا كيف يمشي على قدميه ، بعدها وبعدها فقط يتعلم كيف يركب الدراجة أو السيارة أو حتى الحمارة أو الطيارة أو العبّارة.

---

(1) ابن حجر - الكافي .... حديث ١٢.

العبـــادات :

والآن حان الانتقال إلى العبادات الإسلامية ، ففيها عديد من الجوانب الأمنية التي نحاول دراستها والإشارة إليها فيما يلي :

أولا : الصلاة :

في تقدمة كلامنا ذكرنا أن الصلاة المفروضة الخمس نجد فيها ثلاث صلوات بالليل ، واحدة في أوله ، هي المغرب ، والأخرى في آخره هي الفجر ، وفيما بينهما صلاة العشاء ، $\frac{3}{5}$ = ٦٠% من الصلوات المكتوبات تقام في الليل ، حتى في السفر وفي غيره حين تجمع الصلوات ، تظل الأغلبية للصلاة بالليل ، سيبقى للنهار صلاة واحدة ، هي الظهران أو العصران، يجمع الظهر مع العصر جميع تقديم ، أو تأخير ، في وقت واحد من النهار ، صلاة الفجر ، لا تجمع مع غيرها ، المغرب والعشاء يجمعان في وقت واحد ، ولذا ستجد في النهار عند جمع الصلوات صلاة واحدة ، وفي الليل ثنتان، المغرب جمعا مع العشاء، ثم الفجر، $\frac{2}{3}$ = ٦٦,٦% تقريبا ، وهكذا.

كل هذا يجعل المجتمع يقظا في جزء كبير من الليل ، في بدئه ، وفي آخره ، وفي العشاء ، والأمر لا يقتصر على وقت الصلاة فقط ، فإن الصلاة تحتاج إلى استعداد من وضوء وطهارة ... الخ، ولا تقتصر المسألة على وقت الصلوات الثلاث، بل هناك إعداد واستعداد قبلها ، وعودة للحياة أو للنوم بعدها ، وهو ما يأخذ جزءا أو قسطا مهما من الليل.

وانظر كيف شددت الأحاديث على صلاة الجماعة ، وفي المساجد ، خاصة في صلاتي العشاء والفجر ، مثل :

- صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسا وعشرين درجة ، إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد ، لا يخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة [(1)].
- (إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ، ولو حبوا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ، ثم انطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار [(2)]).
- (لولا ما في البيوت من النساء والذرية أقمت صلاة العشاء ، وأمرت فتياني يحرقون ما في البيوت بالنار [(3)]).

إلى هذا الحد شدد الرسول (ﷺ) على شهود الجماعة في هاتين الصلاتين المهمتين من الليل ، خاصة العشاء ، إن هذا الشهود ينقل جزءا من حركة الناس ووجودهم من البيوت والأسواق في هذا الجزء من الليل إلى المساجد والطرق والشوارع المؤدية إليها ذهابا وإيابا ، وهو ما يشكل عنصر أمن وحرس لهذي الشوارع والطرقات ، فصلاة الجماعة هنا جانب أمني من جوانب هذه العبادة الإسلامية.

ليس هذا فقط ، بل ورد استحباب تأخير صلاة العشاء عن أول وقتها ، جاء في فقه السنة [(1)] : (والأفضل تأخير صلاة العشاء إلى آخر وقتها المختار ، وهو نصف الليل لحديث عائشة - رضي الله عنها - قالت : أعتم النبي (ﷺ) ذات ليلة ، حتى ذهب

---

(1) المنذري : الترغيب والترهيب ١/١٢٥.
(2) السابق ١/١٥٣ ، ١٥٤.
(3) السابق ١/١٥٤.

عامة الليل حتى نام أهل المسجد ، ثم خرج فصلى ، فقال إنه لوقتها [٢] ، لولا أن أشق على أمتي) لولا أن يشق (ﷺ) على أمته لما ترك المواظبة على تأخير العشاء ، يقول سيد سابق : (وكلها) كل الأحاديث في هذا الموضوع (تدل على استحباب التأخير وأفضليته [٣]).

إن تأخير صلاة العشاء معناه يقظة وسهر جزء من الأمة ، تزيد مدة الحراسةَ والأمان للباقين ، خاصة في هذا الجزء الحساس المهم من الليل ، الذي يمكن أن تحدث فيه السرقات أو الحوادث ، أو الحرائق ، أو غيرها ، إن يقظة وسهر بعض الناس يمكن أن يحد من كل هذي الأخطار ، أو أن يقلل من خسائرها.

كما يستحب أيضا الصلاة في المسجد الأبعد الذي يجتمع فيه العدد الكثير ، في الحديث الشريف [٤] :

- (إن أعظم الناس في الصلاة أجرا أبعدهم إليه ممشى).
- (صلاة الرجل مع الرجل أزكى) أكثر أجرا (من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى).

ومعنى بعد المسجد أن يمشي المصلي في الجماعة مسافة أكبر ، حضور في الشوارع من المساجد وإليها وقتا أطول ، هذا الحضور هو عامل أمن وآمان ، خاصة في الليل ، وكذلك كثرة المصلين في الجماعة معناه عدد أكبر من الناس ذاهبين جائين من المساجد والجماعات ، وهذا ما يصب في النهاية في أمن الناس وحراستهم.

---

(١) للشيخ سيد سابق ، ١/١٧٧ ، ١٧٨.
(٢) أي الوقت الأنسب لها ، لولا أن هذا يشق على الأمة أن يصلوها في هذا الوقت.
(٣) السابق ١/١٧٨.
(٤) السابق ٢/١٠٦.

وننتقل إلى مسألة أخرى مهمة في الصرات وإن كانت سنة ، ليست فرضا ، ولكنه شُدّد عليها كثيرا ، وبصورة لافتة وملفتة لكل باده ، وهي صلاة الليل ، أو قيام الليل ، إنه نوع من الحراسة في هذا الجزء الخطر من الليل ، نذكر بعض الأحاديث التي خصت قيام الليل :

- (من كثرت صلاته بالليل ، حسن وجهه بالنهار [1]).
- (أيها الناس : أفشوا السلام، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام [2]).
- يحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة ، فينادي منادٍ : أين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؟ فيقومون ، وهم قليل ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، ثم يؤمر بسائر الناس إلى الحساب [3]).
- (عليكم بقيام الليل ؛ فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم ، ومطردة للداء عن الجسد [4]) له فوائد صحية أيضا ، في طرد الأمراض عن الجسم ، حبذا لو قام أساتذة الطب بإجراء التجارب لمعرفة مدى الإفادة من قيام الليل في طرد الأمراض ، يا ليت ، يا ليت.
- جاء جبريل إلى النبي (ﷺ) فقال : (يا محمد ، عش ما شئت ، فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس [5]).
- (أشراف أمتي حملة القرآن ، وأصحاب الليل [6]).

---

(١) سنن ابن ماجة ، حديث ١٣٣٣.
(٢) السابق ، حديث ١٣٣٤.
(٣) المنذري : الترغيب والترهيب ٢١٥/١.
(٤) السابق ٢١٦/١.
(٥) السابق ، ٣١٨/١.
(٦) السابق.

نكتفي بهذا القدر من الأحاديث النبوية ، ولو رغبنا لذكرنا الكثير والكثير ، ولكن حسب القارئ ما سلف ، فإن رام مزيدا فليرجع إلى كتب الأحاديث في الهامش أو غيرها.

بقي أن نذكر بعض الآيات في قيام الليل : (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) وفي نهاية المزمل : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)

وفي سورة السجدة (1) : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) فما جزاءهم عند الله (جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

إصرار عجيب من سيد الخلق ، ومن جبريل على قيام الليل ، فهل لقيام الليل جانب أمني ؟ بكل توكيد ، إن من يقوم يصلي لله في بيته هو حارس مخلص لهذا البيت ، ولجيرانه أيضا ، قد يكتشف أن بابا من أبواب المنزل ـ خاصة الرئيسة ـ ترك مفتوحا ، قد يكتشف أن الموقد في المطبخ نسي بناره وما عليها من طعام احترق ، أو انطفأت النار ، وبقي الغاز يتسرب ليخنق كل نائم أو حتى مستيقظ في المنزل ، بل قد يتسبب في حريق ، يبدأ من هنا ، ولا تعرف إلى أين سيصل.

وكم وكم من الحوادث وقعت نتيجة سهو ربة المنزل عن موقدها ، أو نتيجة لخطأ ما ، قد يكون غير مقصود ، ولكن من ورائه العواقب الوخيمة.

انظر إلى هذا الرجل ، تركت أسرته التي التفت حول المدفأة تركت منشفة

---

(1) الآية ١٦ ، ١٩.

مبللة على المدفأة ، ثم استيقظ القوم على حريق اتى على الجزء الأكبر من الشقة ، نتيجة هذا السهو غير المقصود ، ولو أن أحدا قام من الليل ولو للحيظة لاكتشف الكارثة قبل وقوعها.

وهـذا ما ينبغي أن يكون موضع دراسة وعناية من المختصين ـ خاصة الأثر الأمني والصحي ـ فإن فارقاً مهماً بيننا وبين الغرب أن الأخير يقوم بدراسة كل شيء يهتم بدراسة كل شيء ، يفتش خلف الحجر والشجر والمدر ، في الفتيل والقطمير ، والتافه والحقير من كل الأمور ، أما عالمنا النامي أو الناهض ، فإننا نضع أمام كل باحث عقبة أو قل عقبات ، بل نجتهد برميه بما نستطيع من التهم والمكائد ، حتى يقول (حقي برقبتي) فلا يخرج عن النص، بل لا يفكر ، ولا يحلم ـ مجرد حلم وخيال ـ بأن ثمة خروجا عن النص.

ونعود سراعا سراعا إلى الصلوات المكتوبة ، انظر ـ سيدي القارئ ـ صلاة النهار لا يجهر فيها بالقراءة يا إلهي !! لم يا يرحمك الله ؟ ربما لأن النهار وقت عمل وسعي ، يحتاج إلى الهدوء ، ربما.

ولكن لماذا كان الجهر في صلوات الليل ؟ لقد كنا ـ ومازلنا ـ نسمع مكبرات الصوت تصدح بالأذان ، خاصة في الفجر ، في الأذان فقط ؟ كلا ، قرآن الفجر يدوي في أنحاء أحيائنا وشوارعنا ، وكل هذا عامل أمن وأمان وطمأنينة بين الناس.

وانظر إلى العبادات الإسلامية لا تترك المرء حتى في سوح الحرب ، الصلاة فيها ، أسماها العلماء بصلاة الخوف ، وهي ليس صلاة خوف ، بل أراها صلاة أمن وأمان ، والتي وصفها القرآن الكريم في سورة النساء : (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ

وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ۞ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً ۞ وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً) [1].

ومن تفسير ابن كثير [2] رحمه الله ـ ننقل وصف هذي الصلاة التي جاءت بآية النساء التي سبقت :

صلى رسول الله (ﷺ) صلاة الخوف ، فكان الناس طائفتين، طائفة إزاء العدو، وطائفة صلوا مع رسول الله (ﷺ) فصلى بالطائفة التي معه ركعتين ، ثم انصرفوا ، فوقفوا مكان الطائفة الذين كانوا إزاء العدو ، ثم جاء الآخرون فصلوا مع رسول الله ركعتين ، ومن ثم صلى النبي ٤ ركعات ، وصلت كل طائفة ركعتين [3] فقط ، وهكذا.

ولا ندخل في تفاصيل هذي الصلاة وصورها ، فهذا له مكانه في كتب الفقه والتفسير ، ولكن الفكرة فيها أمن وأمان من الخوف في ميدان المعركة ، عندما نكون بازاء العدو.

بل أيضا هناك عدة نصائح أمنية ، منها (وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ) من عدوكم ولا تغفلوا عنه ، حتى لا يأخذكم على غرة عدوكم.

(١) سورة النساء ، الآية ١٠٢ ـ ١٠٤.
(٢) ٥٤٩/١.
(٣) السابق.

نصيحة أخرى أمنية (وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ) لا تهملوا شأن عدوكم ، ولا تستهينوا به ، بل قاتلوه وجدوا في طلبه (إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ) ففي الحرب قتل وخراب ودمار ، في الجانبين ، ليس في جانبكم فقط ، لكنْ فرق ، بل فروق بينكم وبينهم (وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ) أنتم ترجون من الله الثواب والتأييد [1] وهم لا يطمعون في شيء من هذا ، فأنتم أولى منهم بالجهاد والقتال.

بعد صلاة الخوف وآياتها ندخل إلى حرم عبادة أخرى ...

ثانيا : الصيام :

يبدأ بالليل ، وبالليل ينتهي ، إمساك عن الطعام والشراب آخر الليل ، عندما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، الإفطار في اللحظة الأولى الأولى من الليل ، فور أذان المغرب.

ليس هذا فقط، بل تشدد الأحاديث وتوكد على تعجيل الفطور وتأخير السحور ، وهذا ملمح أمني عجيب ، لأن هذا يعني أن تستمر الحركة في رمضان من الإفطار إلى الفجر ، ولكن ما هي الأحاديث التي نصت على تبكير الفطور وتأجيل السحور ؟ منها :

- (تسحروا فإن في السحور [2] بركة).
- (ثلاثة يحبها الله : تعجيل الإفطار ، وتأخير السحور ، وضرب اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة [3]).

---

(1) السابق ٥٥٠/١.
(2) البخاري : حديث رقم ١٧٣٤.
(3) المنذري : الترغيب والترهيب ٩٥/٢.

- (ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا - إن شاء الله: الصائم، والمتسحر، والمرابط في سبيل الله) [1].

صاحب كتاب فقه السنة [2] - رحمه الله - يرى أن : (وقت السحور من منتصف الليل إلى طلوع الفجر ، والمستحب تأخيره).

إن تأخيره إلى هذا الوقت عنصر أمن وأمان للناس ، البيوت ساهرة متيقظة إلى صلاة الفجر ، والتي يزيد عددها في رمضان إلى حد كبير ، تمتلئ بهم المساجد في هذا الشهر الكريم.

ولا يقتصر ليل رمضان على البدء بالفطور والانتهاء بالسحور ، وصلاة الفجر جماعة في المسجد ، بل إن صلاة العشاء جماعة في المساجد تبرز للناس كملمح مهم في هذا الشهر، فضلا عن أمرين آخرين مهمين ، هما صلاة التراويح أو القيام ، وهي شعيرة رمضانية بارزة، حيث يصدح القرآن من المساجد التي تفيض بمصليها.

والشيء الثاني هو تلمس ليلة القدر في العشر الأواخر منه ، ففي الحديث الشريف : (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان [3]).

وهنا يستطيع كل مؤمن ومؤمنة أن يتحراها في بيته مصليا وضارعا إلى ربه ، أو يعتكف في المسجد ، يفرغ نفسه للعبادة عله يصيب هذي الليلة المباركة . وهذا يكون في المساجد ، خاصة في الحرمين الشريفين.

إنها سنة النبي (ﷺ) في العشر الأواخر ، ما تركها حتى توفاه الله ، ثم اعتكفت

---

(١) السابق ٢/٩٤.
(٢) ٣/٢٥١.
(٣) البخاري ، حديث ١٨٢٣.

أزواجه من [1] بعده.

وفي عمرة العشر الأواخر كنا نصلي صلاة التهجد ، إضافة إلى التراويح ، في الحرمين كليهما ، كانت تقام هذي الصلوات ، تبدأ الواحدة فجرا ، ولعلها تنتهي قبل أذان الفجر بقليل من الوقت.

وهذا كله يعني أن المجتمع المسلم ـ خاصة في ظلال الحرمين ـ هو ساهر متيقظ منذ أذان المغرب ، في أول خيط من خيوط الليل ، وطوال الليل كله إلى أول خيط من خيوط الفجر المبارك ، مع حركة الناس في الشوارع ، رائحة جائية من البيوت والمساجد وإليها ، أليس في كل هذا أمن وأمان لهذا المجتمع ، إنها بركات هذه الشريعة العظيمة الغراء والمباركة.

وننتقل من هذا كله إلى :

ثالثا : الحج والعمرة :

وما دخلهما فيما نحن فيه من الحديث عن الجوانب الأمنية ، ومن هنا نسأل القارئ الكريم : لو أن حرم الله في مكة أو المدينة رزق بمليوني زائر ـ أو أكثر ـ فكم من الشُرط نحتاجهم لحراسة هذا العدد الهائل ؟ نحرسهم من السرقات ومن الحوادث ومن الحرائق ، ومن المصائب ، وكم من أعداد الشرط نحتاج لحراسة الكعبة والمسجد النبوي ؟ كم وكم وكم ؟ .

ولكن انظر : لقد جعل الله لهؤلاء الزوار والعمار والحجاج من أنفسهم حارسا على أنفسهم ؟ كل شعائر الزيارة والعمرة والحج تتم على مدار الساعة ، كل ساعات الليل والنهار :

---

(١) السابق ، حديث ١٨٢٨.

- الطواف والصلاة واستلام الحجر.
- السعي بين الصفا والمروة.
- الإحرام من المواقيت المكانية (التنعيم - أبيار علي) مثلا.

هذا في الحج وفي العمرة والزيارة ، وفي الأول الخروج من مكة يوم الثامن من ذي الحجة المسمى بيوم التروية ، إلى منى ثم عرفات ، بعض الحجاج يخرج إلى عرفات بشكل مباشر ، حيث الوقوف بعرفات يوم التاسع من ذي الحجة ، وهو ركن الحج الأعظم.

وبمجرد غروب شمس هذا اليوم حتى ينفر الحجيج كلهم من إلى المزدلفة يبيتون فيها ، أو البقاء بها مدة من الليل ، يصلون المغرب والعشاء ، يجمعون الحصيات التي يأخذونها إلى منى ، حتى ترمى الجمرات على مدى ثلاثة أيام ، أو أربعة ، يوم النحر ، ويومان أو ثلاثة من أيام التشريق [1].

هذه الحركة الدائبة المستمرة ليلا - من عرفات إلى المزدلفة إلى منى - ونهارا أو ليلا من مكة أو غيرها إلى عرفات ، والإقامة بعرفات نهارا ، وبمنى ليل نهار ، كل هذا هو عامل أمن وأمان للحجاج في تحركاتهم التي تتم بحراسة ذاتية من أنفسهم.

وهكذا في كل العبادات الإسلامية التي سلفت (الصلاة - الصيام - الحج) يشعر مؤديها بكامل الأمن والأمان بسبب هذى العبادات فينام ملء جفنيه ، ومن ناحية أخرى فهو في ساعته البيولوجية على استعداد لليقظة في أي وقت كالجندي في الميدان ينام من التعب والنصب ، لكنه على أهبة الاستعداد لأن يقفز من فراشه ونومه في أية لحظة ، يؤمر فيها بهذا.

---

(١) استعنا بكتاب فقه السنة للشيخ سيد سابق في تلخيص أعمال الحج والعمرة ، انظر ٢٩٣/١ وما بعدها.

بقى أن نتحدث عن :

رابعا : الزكاة في الأموال والممتلكات :

ودورها في أمن وأمان المجتمع ، ونبدأ نحكي بعض قصص ما يسمى بالسطو المسلح في البلدان الأخرى ، يقولون : يخرج عليك رجل مسلح بمسدس أو سكين أو غيرها ، يطلب منك فقط (دولارا) واحدا ، نعم ، ذكر لي أحد أصدقائي أنه كان في سفره في إحدى البلدان يحتفظ في بيته وفي أي وقت بمائة أو مائتين إلى ٣٠٠ دولار معه ، لماذا ؟ سيأتي إليه مسلح يطلب منه هذا المبلغ القليل من المال ، وإلا ... وإلا قتله على الفور ، بدم بارد ؟ أو بدم فاتر ، المهم سوف يقتله ، انظر إلى هذا كله هل يمكن أن يحدث في بلادنا ؟ كلا.

اسأل نفسك أيها القارئ : لو همس أحد في أذنك بأنه يحتاج إلى دولار ، ألا تراك تخرج من جيبك هذا المبلغ البسيط ، دون تفكير ، فقد تعود المسلم على العطاء والسخاء ، كما تأكد السائل أنك ستعطيه ، دون تهديد أو سلاح ، أما عند غيرنا فالسائل يعرف أن أحدا لن يجود بالمال - مهما قل - إلا رغما عنه.

والآن ، الآن بعد الحديث عن جوانب الأمن في العبادات الإسلامية هل بقى في الجعبة شيء يمكن أن يذكر أو يقال ؟ بالتوكيد بالتوكيد :نعم ، هناك :

جوانب أمنية أُخَر في الشريعة الإسلامية

مثل ؟ مثل :

أولا : تحريم الظلم : وتجريمه أيضا ، نبدأ بالآيات ، ثم نثني بالأحاديث ، كما يلي :

(١) **الآيات** : من الملاحظ واللافت للنظر والبصر أن مادة (ظ ل م) في القرآن الكريم بمشتقاتها من أسماء وأفعال قد وقعت (٢٩٠) [١] مرة ، في مواضعها المختلفة من الكتاب العزيز ، وهذا ما يدل على شديد الاهتمام بهذي القضية ، ويكفي أن كلمة (ظالمين) وحدها وقعت في القرآن (٩١) مرة ، وهذي بعض الآيات :

- (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ) [٢].
- (وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً) [٣]
- (وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ) [٤].
- (وَإِذَا رَأى الَّذِينَ ظَلَمُواْ الْعَذَابَ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ) [٥].
- (وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً) [٦] .

ونكتفي بهذا القدر من الآيات لتذكر أو نذكر القارئ ببعض الأحاديث :

- (الظلم ظلمات يوم القيامة [٧]).
- (الظلمة وأعوانهم في النار [٨]).

---

(١) عبد الباقي : المعجم المفهرس ، ص٤٣٤.
(٢) سورة يونس ، آية ٥٤
(٣) سورة الأنفال آية ٢٥
(٤) سورة هود آية ١١٣
(٥) سورة النحل الآية ٨٥
(٦) سورة الفرقان الآية ١٩
(٧) العجلوني : كشف الخفاء ٥١/٢.
(٨) السابق.

- (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) قيل : يا رسول الله : هذا نصره مظلوما ، فكيف ننصره ظالما ؟ قال : (تمنعه من الظلم ، فذاك نصرك إياه [1]).

تحريم الظلم وتجريمه في شريعة محمد (ﷺ) يعطي الأمن والأمان للناس لكي يتجنبوا ظلم غيرهم ، وإذا أمن غيرك من ظلمك، فأنت من ناحية أخرى تأمن أن لا يظلموك، فإن الظلم والإحساس به هما شرارة الشر الأولى التي تنطلق منها كل الآثام والشرور.

وانظر أخيّ المسلم كم مرة حدثتك نفسك أن تظلم الآخرين ، فتذكرت أن هذا حرام فتراجعت عن هذا الظلم ؟ إن هذا قد يحدث قليلا أو كثيرا ، ولكنه يحدث ، إن هذا التذكر صمام أمان لظلم الآخرين لك ، وظلمك للآخرين ، حتى لو لم يك هذا الآخر أخاً لك في الدين.

ثانيا : القصاص : أي القصاص العادل من الآخر ، إذا اعتدى ، وقعت الكلمة في القرآن أربع مرات ، ثلاث في البقرة ، والأخير في المائدة :

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى ....) [2].
- (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [3].
- (الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [4].

---

(١) السابق ٢٠٩/١.
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٧٨.
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٧٩.
(٤) سورة البقرة ، الآية ١٩٤.

(وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ) ما معناها ؟ تقدم تفسيرها :

الحرمات جمع حرمة ، وهو ما يحرم هتكه ، ويجب تعظيمه ورعايته ، والحرمات : حرمة الشهر الحرام، وحرمة الحرم ، وحرمة المسجد الحرام ، والمعنى أن مشركي مكة لو هتكوا حرمة الشهر الحرام بالقتال فيه ، وقد فعلوها حين صدوا النبي وأصحابه عن الحج عام الحديبية ـ سنة ٦ هـ ـ ورموهم بالسهام والحجارة ؛ ومن ثم جاز للمؤمنين أن يقاتلوهم فيه ، وليس هذا بهتك للشهر الحرام ، إنما يجاهدون في سبيل الله ، ويمتثلون أمره في إعلاء كلمته.

ولو هتكوا حرمة الحرم والمسجد الحرام بالقتال فيه أو عنده جاز للمسلمين معاملتهم بالمثل ، فقوله : الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ، بيان خاص عقب بيان عام يشمل جميع المحرمات ، وأعم من هذا البيان العام قوله تعالى عقيبه : (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) فالمعنى أن الله تعالى إنما شرع القصاص في الشهر الحرام لأنه شرع القصاص في جميع الحرمات ، وإنما شرع القصاص في الحرمات لأنه شرع جواز الاعتداء بالمثل.

ثم دعا الله المؤمنين إلى ملازمة طريقة الاحتياط في الاعتداء لأنه فيه استعمالا للشدة والبأس والسطوة وسائر القوى الداعية إلى الطغيان والانحراف عن جادة الاعتدال ، والله سبحانه وتعالى لا يحب المعتدين ، والناس جميعا أحوج إلى محبة الله وولايته ونصره ، فقال تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ).

وأما أمره تعالى بالاعتداء مع أنه لا يحب المعتدين فذاك لأن الاعتداء مذموم إذا لم يكن ردا على سابق اعتداء ، أما إذا كان في مقابلة الاعتداء فليس إلا تعاليا عن ذل وهوان وارتقاء عن حضيض الاستعباد والظلم والضيم ، كالتكبر على المتكبر

والجهر بالسوء لمن ظلم [1].

بقي الموضع الرابع الذي جاءت فيه كلمة (القصاص) وهو موضع المائدة (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [2].

عندما يعلم المسلم يقينا وتوكيدا أن سوف يقتص منه بدءا من الجرح الصغير حتى قتل النفس، فإنه سيفكر ألف مرة ومرة قبل أن يقدم على عمل سوف يقتص منه إن هذا أمان للمسلم وللفرد في المجتمع من أن يعتدي على أخيه في الدين أو نظيره في الخلق.

ومن ناحية أخرى فإن هذا أمان لكل إنسان أن يعتدي عليه الآخر، وهو على يقين من القصاص ، ومن ثم فالقصاص أمن للفرد من الاعتداء على غيره ، أو أن يعتدي على غيره ، ولذا جاء التعبير القرآني عظيما رائعا قويا (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ) أي حياة حقة آمنة مطمئنة يا أصحاب العقول الصحيحة المستقيمة.

ثالثا : إصلاح ذات البين وتحريم التأريش بين الناس :

لا يمل الشياطين من الجن أو الإنس من الإفساد بين الناس ، وتخريب ذات البين ، وإفساد العلاقات الطبيعية الطيبة بين البشر ، ومن هنا قامت أهمية إصلاح ذات البين.

---

(١) الطباطبائي : الميزان ٦٤/٢.
(٢) سورة المائدة ، الآية ٤٥.

- ففي الإسراء ، الآية ٥٣ : (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) لماذا يا رب ؟ (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً).
- ويقول نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ لأبويه : (... وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) أي أفسد بيني وبين إخوتي .
- وفي مفتتح الأنفال : (فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) لاحظ أن الأمر بإصلاح ذات البين قد جاء قبل الأمر بطاعة الله ورسوله ، سابقا له ، متقدما عليه ، ليس هذا فقط ، بل جعل القرآن الكريم إصلاح ذات البين ـ وطاعة الله والرسول ـ شرائط وعلامات دالة على الإيمان.
- وفي سورة [1] الحجرات : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) لاحظ أيضا أن الأمر بالإصلاح بين أخوينا جاء قبل الأمر بتقوى الله.

وهذي بعض الأحاديث [2] الشريفة حول ضرورة إصلاح ذات البين وخطورة التحريش والتحريض والتأريش بين الناس :
- قال النبي الأكرم : (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟) قالوا: بلى ، قال : إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول : تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين).
- وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ لأبي أيوب : (ألا أدلك على تجارة ؟) قال : بلى ، قال : (صِلْ بين الناس إذا تفاسدوا ، وقرب بينهم إذا تباعدوا).

---

(١) الآية ١٠.
(٢) المنذري : الترغيب والترهيب ٢٩٢/٣ ـ ٢٩٣.

- ومرة أخرى يسأل المصطفى (ﷺ) أبا أيوب : (ألا أدلك على صدقة يحب الله موضعها ؟) قال : (تصلح بين الناس ، فإنها صدقة يحب الله موضعها).
- من أصلح بين الناس ، أصلح الله أمره ، وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ، ورجع مغفورا له ما تقدم من ذنبه).

وإني أسائل المصطفى : لم يا سيدي يكون جزاء إصلاح البين بالكلمة ، له بكل كلمة يقولها عتق رقبة ؟ لأن الإصلاح بين الناس والخلائق يحتاج إلى كلام كثير ، وجع رأس وصداع كبير ؛ لذا كان الجزاء وفاقا وفاقا.

إن المرء يستطيع أن يقول في الثانية الواحد بضع كلمات ، وعليه فإنه في الساعة الواحدة يمكن أن يقول مئات الكلمات طوال الجلسات والمناقشات الجافة الخشنة المستنفرة ، ومن ثم يخرج من إحدى تلك الجلسات بمئات من الرقاب كأنه أعتقها ، وفوقها غفران لما تقدم من ذنبه.

ليس هذا فقط ، بل إن المكان الذي تم فيه الصلح ، وتهدئة ذات البين ، هذا المكان ، سواء كان - يا أخا الإسلام والإيمان - بيتك أو مكتبك ، أو دكانك أو ...... الخ كل هذا لهو فائز بمحبة الله - سبحانه وتعالى - منزلة ما بعدها منزلة.

رابعا : الزواج وتكوين الأسرة :

قبل أن أشرع في الموضوع هنا أشير إلى أن كثيرا من البحوث رأت أن المتزوجين أطول أعمارا من غير المتزوجين ، رغم كل مشكلات الزواج وتكوين الأسرة ، وهاك بعض ما حدث مع صديق كان يعيش وحده :

١- وضع الرجل اللبن على النار لغليه ، ثم تركه وأسرع إلى عمله ، بعد ساعتين اكتشف الكارثة ، انطلق بسيارته عائدا بسرعة البرق ، فتح الشقة بهدوء وحذر

ونظر إلى المطبخ وجد أن لطف الله قد سبقه ، وبقي اللبن يغلي ، دون أن يفور ليطفئ النار ، ويبقى الغاز وحده يتسرب إلى الشقة ، ثم إلى خارجها ، لقد راب اللبن ، كرما من الخالق وكرامة لهذا الصديق التقي.

٢- أما أغرب ما سمعت في هذا الأمر فهو أن الرجل أشعل النار من موقده بسبب شدة البرد وقساوته ، ثم سافر لأداء العمرة ، ونسي النار متقدة ، كم ساعة تقريبا ؟ قل كم يوما ؟ ٢٥ يوما بلياليهن ، والطامة الكبرى أن الموقد لم يك معتمدا على أنبوبة ، تنفد خلال أيام أو سويعات ، بل توصيلة غاز دائم دائب لا ينقطع ، وأيضا بسبب لطف الله، عاد الرجل إلى منزله، وجد الأمن مستتبا هادئا ، فقط دفء عارم ساد ربوع البيت.

٣- أيها القارئ الكريم ، كم من الحوادث حصلت وجاء الموت لمن يعيش وحده ، وبعد أيام أو شهور اكتشفت الجثة بعد أن تحللت وتعفنت ، ولو كان هذا الإنسان أو الإنسانة عاشت في كنف أسرة لما سمعنا عن مثل هذي المآسي.

وانظر إلى القواعد من النساء والرجال ، الشيوخ والعجائز ، إنهم يمكن أن يكونا لنا حراسا وعيونا ساهرة لحمايتنا ، فإذا نسي المرء شيئا مما ذكر كان الشيخ أو العجوز أو الشايب مما يذكر وينبه ، وإذا جاء أحد إلى المنزل في غيابنا أو اتصل بنا ، رد الجد أو الجدة ، وعرفا مَنْ المتصل ، ومن الطارق ، وما حاجته ؟

دور مهم للقواعد من الرجال والنساء ، وعصمة لهم من العيش وحده أو وحدها ، يجابهان مصيرهما وحدهما ، دون معين أو ناصر.

يقول المولى عز وجل : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا

يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً) [1].

وليس من الإحسان إلى الوالدين أو خفض الجناح لهما أن نجبرهما ـ أو أحدهما ـ على العيش وحده ، أو أن نسلمه إلى دور المسنين.

وانظر إلى حكمة الشريعة الغراء في مجال الأسرة والزواج ، فكما شرع الزواج ، فقد أبيح الطلاق ، تحت شعار : (وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللّهُ وَاسِعاً حَكِيماً) [2].

وقولة سيد الخلق (ﷺ) : (أبغض الحلال إلى الله الطلاق [3]) هي ليست توكيدا ـ في رأيي ـ على بغض الطلاق ، بل هي توكيد شديد أكيد على أنه حلال حلال ، إذا استحالت العشرة بين الزوجين.

وهذا ملمح أمني مهم في حياة الأسرة ، فالرجل الكاره لزوجته ، هل يؤتمن عليها ، ألا توسوس له الشياطين ـ إنسا وجنا ـ بالانتقام من الزوجة ، وربما التفكير في قتلها ، وهل يأمن الرجل جانب الزوجة التي تكرهه أن تخونه ، فهي تعرف كثيرا من أسراره ، وأخص خصوصياته ، إنها تعد له طعامه وشرابه وفراشه ، وتربي أبناءه ، وتطلع على أمواله وما في جيوبه ، وما يملك ، وما يمتلك ، فهل تؤتمن على شيء من هذا ، وهي كارهة ؟.

(١) سورة الإسراء ، الآيات ١٣ ، ١٤.
(٢) سورة النساء ، الآية ١٣٠.
(٣) سنن ابن ماجة ، حديث رقم ٢٠/٨.

على أية حال فإن الشريعة بشكل عام تحث على الاختلاط بالناس ، وعدم الانعزال عنهم ، حتى لو كان في الاختلاط بالناس أذى ، أو بعض الأذى؟ حتى حتى ، يقول سيد الخلق : (المؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم أعظم أجرا ، من المؤمن الذي لا يخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم [١]).

ومعنى (يخالط الناس) يساكنهم ويعاملهم ، والحديث يدل على أن المخالط الصابر خير ممن يعتزل الناس ، ويبتعد عن معاملتهم ، كما ذكر الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي تعليقا على الحديث [٢].

إن العزلة يمكن أن تؤدي إلى أمراض عديدة ، منها الاكتئاب ، ما قد يؤدي إلى الموت المبكر ، ولذا كان الزواج والأسرة أمانا من هذي الأمراض ، بل هما أمان من كثير من الأخطار والأخطاء ، مثل الموت المبكر والشيخوخة المبكرة ، ولذا كان المتزوجون أطول أعمارا من غير المتزوجين ، وخيرا منهم ، كما جاء في الحديث الشريف : (شراركم عزابكم [٣]) وهو حث واضح على الزواج ، وتكوين الأسرة ، بل كان أمر من الله في القرآن أنزله بتزويج هؤلاء العازبين ، حتى العبيد والخدم ، إن صلح هؤلاء العبيد والخدم للزواج ، ففي سورة النور : (وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [٤].

ويُعرض القرآن الكريم بإحجام بعض الشباب عن الزواج بقلة ذات اليد بقوله : (إن يَكُونُوا) أي العزّاب (فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ..) وهذا من المشاهد الملموس،

(١) السابق ، حديث رقم ٤٠٣٢ ، باب الصبر على البلاء.
(٢) السابق.
(٣) السيوطي : الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ، حديث رقم ٢٦٧ ، ص٢٧٨.
(٤) سورة النور ، الآية ٣٢.

الزواج باب مهم من أبواب استمطار الرزق ومدراره.

في الحديث [1] الشريف : (ثلاثة حق على الله عونهم) :

- الناكح يريد العفاف.
- المكاتب يريد الأداء.
- الغازي في سبيل الله.

وعن ابن مسعود (ﷺ) : (التمسوا الغنى في النكاح ، يقول الله تعالى : (إن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ).

خامسا : العفو والتسامح وقبول الأعذار :

في هذه الأيام من النصف الأول من شهر أبريل لهذا العام ٢٠٠٨ كنت أتابع مع أسرتي - في بعض أوقات فراغي القليلة عن العمل - مسلسلات مصرية تتحدث عن رجال الأعمال ، هم لا يمتلكون شركة واحدة ، ولا مصنعا واحدا ، وإنما مجموعة شركات ، كما يرددون ، ولكن الصراع بين هذه الطبقة من الناس عجيب ، إنه : أنا وبعدي الطوفان ، فالقتل أو الحرق أو الطحن (الضرب المبرح) هو السلاح الجاهز ضد أي منافس أو مناوئ.

فلو كان الأمر بهذه الصورة من الشناعة والبشاعة وهول الصراع فهذا ما سوف يؤدي حتما ولزما إلى خراب الدِّيار وإضرار بالدِّيار ، نعم : (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) [2] الصراع والتربص بالآخر موجود في كل مكان ، وفي أي عمل ، وبين أبناء كل مهنة أو مؤسسة ، لكن لا أراه بهذه الصورة.

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ٣/٣٨٦ - ٣٨٧.
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٥١ ، سورة الحج ، الآية ٤٠.

انظر أيها القارئ الكريم كيف وضعت الشريعة الإسلامية مُشَحما مهما في الصراع بين الناس ، إنه العفو والتسامح ، ففي القرآن الكريم :

- ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (١).
- ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (٢).
- ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فمن هؤلاء المتقون ، وما صفاتهم ؟ ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

ومن الأحاديث النبوية :

- عن علي بن أبي طالب (ﷺ) : (وجدنا في قائم سيف رسول الله (ﷺ) اعف عن ظلمك ، وصل من قطعك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وقل الحق ولو على نفسك (٤)).
- عن جابر بن عبد الله (ﷺ) قال سيد الأولين والآخرين : (ثلاث من جاء بهن مع إيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين كما شاء) ما هن هذي الثلاث يا رسول الله ؟ هن :
  - من أدى دَينا خفيا.
  - وعفا عن قاتله.
  - وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات : قل هو الله أحد.

فقال أبو بكر : (أو إحداهن ، يا رسول الله) فقال : (أو إحداهن) رواه الطبراني في

(١) سورة الشورى ، الآية ٤٠.
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٣٧.
(٣) سورة آل عمران ، الآيات ١٣٣ ، ١٣٤.
(٤) المنذري : الترغيب والترهيب ٣/٢٠٩.

الأوسط [1].

- قال أنس بن مالك (ﷺ) : (ما رفع إلى رسول شيء فيه القصاص إلا أمر فيه بالعفو) انظر - عزيزي القارئ - أمر ، لم يقل : نصح، حث ، بل (أمَر) وأمره (ﷺ) واجب النفاذ ملزم بلا ريب ، ولا تردد [2].
- وفي الحديث : (ما من رجل يصاب بشيء من جسده ، فيتصدق به) أي يعفو (إلا رفعه الله درجة ، أو حط عنه به خطيئة) [3].
- وحث المصطفى (ﷺ) على إعفاء المسلم من التزامه ، إذا لم يسطع الإيفاء ، أو ظهرت له ضرورة أو مصلحة في خلافه ، سواء أكان هذا في بيع أو شراء أو غيرهما ، قال سيد البرايا : (من أقال مسلما أقال الله عثرته [4] يوم القيامة) وهل هناك أهم من إقالة العثرة يوم لا ينفع مال ولا بنون ؟ اللهم لا ، اللهم لا.
- وقد زينت الشريعة هذا كله بوجوب قبول العذر من المعتذر ، يقول المصطفى : (من اعتذر إليه أخوه المسلم ، فلم يقبل ، لم يرد عليّ الحوض [5]).

كل ما سبق هنا من العفو حتى عن القاتل وإقالة العثرة وقبول العذر ، كل هذا عنصر أمن وأمان داخل المجتمع المسلم ، وهي أيضا مما ينفع الناس في حياتهم ودنياهم ومعاشهم ، وواقعهم ، هذا فضلا عن الثواب الجزيل عند الله في آخرتهم ومعادهم.

---

(١) السابق ٣/٣٠٨.
(٢) سنن ابن ماجة : حديث ٢٦٩٢.
(٣) السابق ، حديث ٢٦٩٣.
(٤) السابق ، حديث ٢١٩٩.
(٥) العجلوني - كشف الخفاء ، حديث رقم ٢٤٠٨.

سادسا : الرهن والوديعة والحجر على السفيه :

هذي إجراءات مهمة تفضي إلى الأمن في المجتمع وبين أفراده ، فعادة الاقتراض بين الناس أفرادا ومؤسسات لا تنقطع أبدا ، وقد يكون امتناع المقرض سببا في سوء العلاقة - مع طالب القرض ، وقد يدفعه هذا إلى الانتقام منه ، فقد اعتدى على أحد الفنانين الراحلين، وقيل أن المعتدي طلب قرضا ، ولم يُجب لطلبه.

ومن ناحية أخرى فإن صاحب المال قد يتخوف من عدم رجوعه ماله إليه ، ويمكن أن تسبب المماطلة أو الامتناع عن سداد القرض شيئا من الشر يصل أحيانا إلى القتل ، ومن ثم أباحت الشريعة الرهن ضمانة للحق أن يرجع إلى صاحبه ، وإلا كان ما رهن من حق المقرض ، مع نصح القرآن برد الأمانة إلى صاحبها ، في التنزيل : (وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) [1].

وقبل هذي الآية أشارت سورة البقرة إلى عنصر أمان آخر في الديْن ، وهو الكتابة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ...) ثم يأمر الله : (وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ ...) ثم أمر إلهي : (وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ) [2] كل هذي الأوامر مفردات أمن وأمان في المجتمع.

ونستطرد إلى مداخلة عجلى نختلسها من وقت القارئ ، نشير إلى أمرين ، الأول ضرورة الكتابة في الدين والمعاملات والودائع ، وكثير من الناس الآن من

(١ ، ٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢.

فرط الثقة يهمله ، ثم تكون الكوارث بعد ذلك ، ضياع الحقوق ، وفرار الظالم من العدالة ، ففي حالة من حالات النصب المتعدد مؤخرا ، استطاع نصاب مدعي أن يحصل على خمسة [1] ملايين جنيه من الناس ، بحجة توظيف هذه الأموال واستثمارها ، وفجأة اختفى دون أن يعرف له أثر، وفي هذه الحالة ، حالة عدم الكتابة على المَدين لا تقبل الدعوات عليه ؛ لأن صاحب المال نسي احتياطا شرعيا مهما ، وهو الكتابة أو الرهن.

والشيء الآخر هنا وجوب وضع الأموال والمقتنيات الثمينة في حرزها المناسب ، خزائن محكمة ، أو مكان مغلق بعناية ، ومموه بذكاء ، بحيث لا يُعرف الطريق إليه بسهولة ، ومن غير مجهود يذكر ، انظر لقد اتفق الفقهاء على أن الدار - وما في حكمها - لا تكون حرزا إلا إذا كان بابها مغلقا [2] ، هذا الإغلاق هو جزء من إجراءات الأمن والأمان الذي نصت عليها الشريعة.

جدير ذكره أن آية الرهن تخصصه بالسفر وعدم وجود الكاتب ، إلا أن الرهن بشكل عام مباح في الحالتين ، وفي غيرهما ، إذ العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ؛ كما في قوله تعالى : (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ....) [3] فإذا أغناه الله ، فهل هو معفي من الاستعفاف ؟ كلا ، كل مسلم وجد نكاحا أو لم يجد ، أو غيرهما عليهم جميعا الاستعفاف.

ومن ناحية أخرى فلا يستغني مجتمع ، أفراده والمؤسسات عن الوديعة ، صغيرة أو كبيرة وقد فصلت الشريعة الإسلامية الحديث عن الوديعة وأحكامها حتى

---

(١) مبلغ تافه مقارنة بأرقام النصب والنهب التي نسمعها في دنا الأغنياء.
(٢) راجع - سابق : فقه السنة ٩/٣٠٤.
(٣) سورة النور ، الآية ٣٣.

يكون المسلم آمنا على وديعته عارفا بحقوقه ، وكذا الطرف الآخر المؤتمن أن يكون على بينة من واجباته ومسئولياته تجاه الأمانة التي تحملها ، وتجاه صاحبها [1] أيضا.

وقد ضرب محمد (ﷺ) أروع المثل في رد الأمانات إلى أهليها حين أبقى عليا (ﷺ) في مكة كي يرد الودائع إلى مشركي مكة الذين ما تركوا شاردة ولا واردة منْ أذى له ولأصحابه إلا فعلوها وارتكبوها ، وبرغم هذا ، وبرغم تعرض الإمام علي (ﷺ) عنه , وأرضاه للمخاطر ، برغم وبرغم فإن هذا لم يسوغ للنبي (ﷺ) عدم رد أموال المشركين المعاندين إليهم.

أما أن محمدا وصحبه خرجوا إلى عير قريش في بدر ، فذاك شأن آخر ، يقول تقي الدين المقريزي : (ونالوا) من آمنوا بمحمد في مكة (من الشتم وأنواع العذاب ، حتى فروا منهم مهاجرين إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ...) هل هذا فقط ؟ كلا (وأغلقت أبوابهم) ودورهم (بمكة ، فباع أبو سفيان بن حرب دورهم ، وقضى من ثمنها دينا عليه [2]).

أي أن قائد الحرب ضد الرسول باع بيوت المهاجرين ، أو قل استولى عليها ، ثم باعها ، وقضى من ثمنها دينا كان عليه ، واستولى على الباقي ، كما فعل اليهود في فلسطين عندما استولوا على بيوت العرب وأملاكها، باعتبارها من أملاك الغائبين فهي حق للقاعدين الخالفين.

---

(١) انظر مثلا الشيخ سيد سابق : فقه السنة ص٧٥ ، وما بعدها.
(٢) كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ، ص٥٨.

وكان أبو سفيان ضامنا لهذي القافلة التي خرج بها إلى الشام أمام القرشيين في مكة ، ولذا تصرف بشكل منطقي متعقل ، ساحل بالقافلة بعيدا عن بدر وعن المدينة ، ونجا بنفسه وبالأموال حتى وصل إلى مأمنه.

وكان حريا بالزعامة القرشية الجديدة (أبو جهل) التي خرجت - أشرا وبطرا- أن تعود من حيث أتت ، لقد خرجوا لإنقاذ القافلة ، وقد أنقذت ونجت ، ولكن الرجل أبى أن يرجع حتى ينزل بدرا ، ينحر الجزر ، ويشرب الخمر ، وتغنيه القيان ، حتى تسمع به العرب ، وقد حقق الله له كل هذي الأماني إلا الأخيرة (فلا تزال العرب تهابه أبد الدهر) ثم كانت الفاجعة في بدر لأبي جهل ومن ساقهم إلى حتوفهم [1].

على أي الأحوال نترك الحديث عن الوديعة والودائع وما سنه الإسلام من أحكام فيها حتى ينتشر الأمن والطمأنينة بين المودع وبين من يقبل الوديعة والأمانة لنخلص إلى مسألة الحجر على السفيه.

إن المال الذي يحظى بقصب السبق ونصيب الأسد من مشكلات الحياة ، مصائبها ورفاهها وسعدها وتعسها ، هذا المال قد يسيء صاحبه ومالكه استخدامه ، ما يقع ضرره على الآخرين ، خاصة المحيطين به ، في الأسرة والعائلة ، وقد يتفاقم الخلاف بين السفيه ومحيطه ، وهو ما يمكن أن يؤدي إلى جرائم تصاعدية ، حتى القتل ، فإن الله أباح هذا الإجراء ضد صاحب المال نفسه أمانا للمجتمع من الاحتكاك والمجابهة مع هذا النوع من الناس ، يقول المولى - عز وجل : (وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً) ، ومع هذا تؤمن حاجاتهم الرئيسة من هذه الأموال ويعاملون معاملة طيبة : (وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً) [2].

---

(١) عن معركة بدر ، انظر : السيرة النبوية لابن هشام ، ٢/٦١٨ وما بعدها..
(٢) سورة النساء ، الآية ٥.

وهكذا نجد مجموعة من الإجراءات الكفيلة بحفظ الأموال وأمن حركتها بين الناس ، يجب أن يضعها المسلم نصب ناظريه حتى لا يقع في حبائل النصب والاحتيال ، وقلما ينجو منها أحد هذه الأيام ، حيث عمت البلوى ، أو أصبحا - أي النصب والاحتيال - من عموم البلوى في هذا الزمان.

سابعا : من هدي المصطفى : من هذا الهدي المحمدي نذكر :

١- (أقلوا الخروج بعد هدأة الرِّجْل ، فإن لله دوابّ يبثهن في الأرض) [1] إذا هدأت حركة الشوارع بالليل ، أو بعض الشوارع في النهار ، فإن علينا أن نقلل الخروج إليها والمشي فيها ، هذا احتياط أمني للرجال وللنساء أيضا ، تجنب الشوارع الفرعية المقفولة ، قليلة الرجل فيها والمشي ، على جميع الناس تحاشيها ، والابتعاد عنها ، فكثيرا ما تكون هدأة الرجل والحركة مسرحا لجرائم السطو والسرقة والاغتصاب وربما القتل والخطف.

٢- (لو يعلم أحدكم ما في الوحدة ما سار أحد بليل وحده [2]- لعن رسول الله (ﷺ) مخنثي الرجال ، الذين يتشبهون بالنساء ، والمترجلات من النساء ، المتشبهات بالرجال، وراكب الفلاة وحده - الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب - خير الصحابة أربعة [3]).

احتياط مهم أن لا يسير المرء وحده في الفلاة - الصحراء - أو المكان الموحش الذي لا أنيس فيه ، على الأقل أن يكون الركب ثلاثة، ليس اقل ، ويفضل أن يكونوا أربعة ، صحيح أن الصورة في السابق اختلفت الآن ، فالكهرباء والإعمار ، وغزو

---

(١) سنن أبي داود حديث رقم ٥١٠٣ ، باب الأدب.
(٢) سنن ابن ماجه ، حديث ٣٧٦٨.
(٣) المنذري : الترغيب والترهيب ٦٦/٤.

الصحراء جعلت من كثير من الطرق المظلمة المقطوعة والأماكن الخالية الموحشة شيئا آخر ، لكن هدي المصطفى يبقى خالدا إذا كان هناك مكان أو طريق في حكم الفلاة فلا يسير أقل من ٣ فيه.

٣- (اقتلوا الحيات كلهن ، فمن خاف ثأرهن [١] فليس مني - أمر رسول الله (ﷺ) بقتل الوزغ [٢]) كانت الحيات والحشرات الضارة المؤذية وإلى عهد قريب خطرا داهما في حياة الناس وحركتهم ، صحيح أن هذا الخطر الآن قد تقلص كثيرا سيما في مناطق العمران والازدحام ، ولكنه لم يختف تماما من حياة البشر ، أو على الأقل بعض البشر ، ومن ثم كان من دواعي الأمن والأمان للمجتمع في حياة محمد أن يأمر بإزالة هذي الأخطار والقضاء عليها.

وهو ما يشير إلى ضرورة تصدي الناس لهذا الخطر وإضرابه ، مثل العقارب والقوارض ،ومثل أسلاك الكهرباء المكشوفة التي تكون فخا تلدغ الناس وتلسعهم بلمسة واحدة ، كما تفعل الأفاعي والحشرات القاتلة ، وقد يتمثل الخطر في صورة الحفر والمجاري المفتوحة بل الألغام المختلفة والقنابل المزروعة ، كل هذي مصايد للموت والإطاحة بالأطراف والإصابات المقعدة ، وهو ما يفوق خطر الحيات والأفاعي التي تقطر السم المميت.

٤- (لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون [٣]- أغلق بابك واذكر اسم الله ، فإن الشياطين لا تفتح بابا مغلقا ، وأطف مصباحك ، واذكر اسم الله ، وخمر إناءك ولو بعود تعرضه عليه ، واذكر اسم الله ، وأوك سقاءك ، واذكر اسم الله [٤]).

---

(١) سنن أبي داود ، حديث ٥٢٤٩ ، باب قتل الحيات.
(٢) الوزغ من الحشرات المؤذيات ، انظر الدميري : حياة الحيوان الكبرى ٤٢١/٢.
(٣) سنن أبي داود ، حديث رقم ٥٢٤٦ ، باب إطفاء النار بالليل.
(٤) السابق ، حديث حديث ٣٧٣١ ، باب في إيكاء الآنية.

مجموعة من إجراءات الأمن والسلامة يتخذها المرء في بيته أو في عمله ، إذا أراد أن يغادره أو يخلد إلى النوم في منزله :

- إطفاء النار، في المطبخ أو غيره ، فلا توقد النار في غيبة أصحابها أو عند نومهم.
- إغلاق الباب.
- إطفاء النور (المصابيح).
- تغطية آنية الطعام [1].
- تغطية المياه.
- ثم ذكر الله في كل ما سبق.

ويدخل فيما سبق إطفاء الأجهزة الكهربية ، سيما الأجهزة الكبيرة التي ليس من طبيعتها العمل فترات طويلة ، وقطع التيار الكهربي عنها حتى بعد إغلاقها ومن القطب الموجب ، ليس السالب.

إن الكهرباء حين تبقى موصلة بالجهاز- برغم إغلاقه - نقول برغم إغلاقه فإن الجهاز معرض للأخطار والتأثر بذبذبة الكهرباء صعودا ، أو هبوطا ، ولذا فمن الاحتياط حين نغلق أجهزة الحاسوب أو التلفاز أن نغلق عنه الكهرباء بمفتاح خاص على القطب الموجب.

كما أن الجهاز إذا لم نقطع عنه الكهرباء بهذي الطريقة فإنه يستهلك جزءا من الكهرباء ، قد يكون قليلا ، ولكنه بمرور الوقت وكثرة الأجهزة في المنزل أو المؤسسة يمكن أن يتزايد ويتزايد.

(١) حتى لو كان الطعام أو الماء في الثلاجة لابد أن يغطيا وأن يخمرا.

٥- مسك الختام في هديه (ﷺ) هنا : (من بات على ظهر بيت ليس له حجار ، فقد برئت منه الذمة [(١)]) فمن بات على سطح منزل أو بناء أو شرفة دون سور يحجزه من السقوط ، فلا ذمة له ، أي المسئولية عليه وحده ، ليس على غيره ، مع الفارق الشاسع بين ارتفاع بيوتنا ومبانينا ، وما كان على عهده (ﷺ) في الغالب لم يكَ يزيد المنزل عن طابقين ،على ارتفاع قليل عن الأرض.

ومع بداهة هذا الأمر ومنطقيته فقد ذكرت إحدى الصحف المصرية منذ سنوات أن أحد العاملين بإحدى الشقق تحت التشطيب والتجهيز ، وبسبب شدة الحر كان ينام على باب يضعه على سور الشرفة - البلكونة - وبقي أشهرا والناس يتوسلون إليه بالنوم داخل الشقة ، إلا أنه سار إلى حتفه ، سقط من الطابق الرابع حيث كان يفر من الحر الشديد إلى موت محقق ، عاد بعدها ليدفن في الأرض التي جاء منها ، ومن طينتها خلق ، ونشأ.

ثامنا : الأمن الغذائي :

شاع هذا المصطلح أيام الرئيس الراحل ، محمد أنور السادات - ت ١٩٨١ - على لسانه ، قاصدا منه أن يأمن الناس على قوتهم وغذائهم في مصر الكنانة ، وقد اتخذت عدة إجراءات وآليات ، منها غزو الصحراء وزراعتها ، سيما في سيناء ، ولهذا تفصيل في مكانه.

وفي موضوعنا نقول : لقد وضعت شريعتنا عدة أسس للأمن الغذائي بين المسلمين ، في مقدمها : (الحرب على التبذير والإسراف - إعادة الاستخدام والتدوير - الحث على عمل اليد) وهاك التفصيل :

---

(١) سنن أبي داود ، حديث ٥٠٤١ (باب في النوم على سطح غير محجر) ليس عليه سور ، أو كما نقول في مصر ليس له (دروة).

١- الحرب على الإسراف والتبذير : ولا نبدأ قبل أن نفرق بين الإسراف والتبذير. فنبدأ بابن [١] منظور نقتبس عنه ما يلي :

(بذّرَ الشيء بذرا فرّقه... قيل من البذر الذي هو الزرع، وهو راجع إلى التفريق... وبذّر ماله أفسده وأنفقه في السّرف ، وكل ما فرقته وأفسدته فقد بذّرته ... وقيل التبذير أن ينفق المال في المعاصي ، وقيل أن يبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقتاته) مما سبق في لسان العرب نفهم ما يلي :

- التبذير من (بذر) الزرع ، فرقه ووزعه بشكل صحيح متوازن متوازي.
- إذا كان (البذر) على الصفة التي وصفنا ، فإن (بَذرَ المال تبذيرا) وزعه وفرقه بشكل [٢] غير صحيح ومبالغ فيه ، متجاوزا الصح والقصد والاعتدال.
- التبذير في المعصية والبذر في طاعة الخالق وفي صالح المخاليق.
- التبذير أن يبالغ في الإنفاق حتى لا يبقى منه ما يقتات به ، أو ما يؤدي به ضرورات الحياة والتزاماتها ، أو أن يحيف عليها ، ويجور ، مقتربا من احتناكها ، وعدم القدرة عليها بسبب هذا التبذير.

هذا عن التبذير ، أما عن السرف فهو : تجاوز القصد والاعتدال والإفراط [٣] ، في المال وفي غيره.

في القرآن الكريم نلاحظ أن مادة (س ر ف) جاءت ٢٣ مرة ، في حين جاءت (ب ذ ر) ٣ مرات فقط ، في ثلاثة ألفاظ هن : (وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً [٤] - إنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُواْ

---

(١) مادة (ب ذ ر).
(٢)(بعزق الفلوس) أضاعها وبذّر فيها.
(٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مادة (س ر ف) .
(٤) سورة الإسراء ، الآية ٢٦.

إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ [1]) مع ملاحظة أنها في المواضع الثلاثة بالتضعيف فقط ، إذ لم تأت في القرآن مطلقا (بذر) بفتح الذال - غير مضعفة - ولا شيء من مشتقاتها .

وهذا يشير - في رأينا - إلى أن التبذير من جانب صاحب المال مستبعد غير وارد وواضح للعيان ، ما يؤدي إلى الحجر عليه في النهاية ، ولنفس السبب كان الإنكار الشديد على المبذرين بوصفهم بأنهم (إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) في أي شيء يا رباه؟ في كفر الشيطان بربه ؟ كلا ، في مبالغة الشيطان الشديد في الكفران (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً).

أما الإسراف في المال وفي غيره ، أي التجاوز والإفراط فهو شيء وارد ممكن ، يمكن أن يفشو بين الناس ويظهر ، ولذا زادت الآيات التي عنه تتحدث عن عشرين آية وموضعا .

فضلا عن أن التبذير جاء في القرآن في سورة واحدة ، هي الإسراء ، وفي موضع واحد ، في آيتين متجاورتين ، هما : (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً) [2].

لاحظ أن الألفاظ الثلاث متجاورات (وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ ...) أما الإسراف ومشتقاته فقد جاء في ١٧ سورة في ٣ سور أكثر من مرة ، الأعراف ٤ مرات ، غافر ٣ مرات ، الأنعام مرتين فقط ، باقي السور = عدد ١٤ سورة ، جاءت

(١) سورة الإسراء ، الآية ٢٧.
(٢) سورة الإسراء ، الآيات ٢٦ ، ٢٧.

مادة (س ر ف) مرة واحدة فقط ، كما في الذاريات ، الدخان ، الشعراء ، الأنبياء... ، مثلا ، مثلا [1].

ونعطي بعض الأمثلة على النهي عن الإسراف :

- (وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [2] لاحظ الآية تذكر عقاب المسرفين بأن الله لا يحبهم فقط ، وهو عقاب ، وأي عقاب ، إلا أنه لا يقارنَ بعقاب : (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً).
- (وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ ...) [3].
- (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [4] لاحظ الإسراف هنا ليس في المال ، إنه في المعاصي.
- من صفات عباد الرحمن : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا [5] لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً) هذا القوام ، التوسط بين الإسراف والتقتير هو الاقتصاد والاعتدال في الإنفاق ، إذن فالإسراف عكس التقتير ، أو عكسه التقتير.

في لسان العرب (قتَر وقتّر وأقتر بمعنى واحد) مصدر (قتّر) هو (تقتير) ومصدر (أقتر) هو (إقتار) ، أما مصدر (قتر) بفتح التاء ، دون تضعيف فهو (القتْر) بسكون التاء ، و(القُتور) [6] بضم القاف.

---

(١) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مادة (س ر ف).
(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٤١.
(٣) سورة النساء ، الآية ٦.
(٤) سورة الزمر ، الآية ٥٣.
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٦٧.
(٦) ابن منظور ، مادة (ق ت ر).

بعد ذكر ما اخترنا من آيات حول الترهيب من الإسراف نذكر بعض الأحاديث بادئين مستفتحين بهذا الحديث الذي ننبه به على البشرية جمعاء جمعاء ، من آدم إلى أن تقوم الساعة التي علمها عند ربي العظيم ، وسبب وروده ما يلي :

(عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله مر بسعد بن أبي وقاص ، وهو يتوضأ ، فقال : ما هذا السرف يا سعد ؟ فقال : أفي الوضوء إسراف ؟ قال : نعم ، ولو كنت على نهر [1] جار).

فالاقتصاد في الماء وعدم الإسراف فيه لا يكون بسبب من قلة الماء أو ندرته أو شحه ، بل يجب أن يكون في الإنسان طبيعة وسجية ، حتى لو كان المتوضئ يغرف من ماء جار متدفق ، لا ينقطع جريانه ، ترى ماذا يأخذ المتوضئ من هذا الماء الذي سيعود الجزء الأكبر منه مرة أخرى إلى النهر ، وما يبقى عالقا بأعضاء الوضوء هو قليل قليل.

يبقى أن نذكر هنا بعض الأحاديث المصطفوية التي تحض على الاقتصاد ، منها :

(الاقتصاد جزء من أربعة وعشرين جزءا من النبوة - الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، والتودد إلى الناس نصف العقل - من فقه الرجل أن يصلح معيشته [2]).

وفي موضوع آخر مهم تشير الأحاديث إلى الاقتصاد في المباني ، وهذا ملمح عظيم في شريعتنا ، يقول سيد الخلق : (أما إن كل بناء وبال على صاحبه إلا ما لا ،

---

(١) سنن ابن ماجة ، حديث رقم ٤٢٥.
(٢) العجلوني : كشف الخفاء ... ١٥٩/١.

إلا ما لا [1]) إلا ما لا منه بد وضرورة ، وحديث آخر : (من بني فوق ما يكفيه كلف يوم القيامة أن يحمله على عنقه [2]) وفي رواية (على عاتقه).

ومن ثم فالشريعة حريصة على عدم ضياع المال والثروة فيما لا يفيد ، ولا منه ينتفع ، فليس من المنطقي أن ينفق الرجل كل ما جمع في سنوات ، وشقى منه وتعب في بيت طويل عريض ، قصر بكل معاني الكلمة ، يقيم في جزء منه ، ويبقى الآخر لأولاده وأحفاده وعقبه وورثـة ورثته ، أو بحجة أنه لا يصح لأحد أن يساكنه ويشاركه بيته الملك (الخصوصي) خاصة بعد الارتفاع الفاحش في أسعار الأراضي والمباني.

إن قانون إيجارات المباني الذي طبق في مصرنا منذ ١٩٩٦ أتاح للمالك توقيت الإيجارة ، وعدم امتدادها إلى الأبد ، وهو قطع الحجة على كل من يحتفظ بما يبنى حتى ينهار المبنى بسبب عدم سكناه ، أو أن تسكنه الشياطين.

أحد تجار العقارات في السعودية سأل أحد المصريين المعارين ، ماذا ستصنع بما تدخره هنا ؟ أبني بيتا في بلدنا ؟ بكل ما جمعته ؟ أجل ، ولكن هذا خطأ ، نعم هذا خطأ ، تاجر العقارات هذا هل يمتلك بيتا ضخما فخما ، لا نظير له ؟ كلا ، إنه يشتري شقة كبيرة واسعة تكفي أسرته الكبيرة ، ولا ينفق كل مدخراته في قصر يسكنه وحده ، ولا يسمح لأحد بالسكن معه.

حرص شديد من الشريعة - مرة أخرى - على عدم وضع المدخر كله في شيء واحد ، على حساب غيره ، بُعد عن وضع البيض كله في سلة واحدة ، وحتى لا

(١) ابن حمزة : البيان والتعريف ... ٢١٢/١.
(٢) السيوطي : جمع الجوامع ، حديث ٢٤٩٧.

يجور هذا البند على كل البنود ، فتضيع الأسرة التي يعولها ، ففي الحديث الشريف : (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت [1]).

على أية حال فقد فصلنا الحديث عن الاقتصاد عامة في بحثنا بعنوان : (إنقاذ التراث المهدرة الطريق إلى بيئة آمنة ونظيفة) والذي نشر بالأهرام الاقتصادي بالقاهرة ، أكتوبر ٢٠٠٤ ، وهو أيضا على موقعي الإلكتروني[2].

وعن الاقتصاد في الوضوء خاصة فصلنا الحديث عنه في بحثنا : (وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَين ، دراسة في القراءات واللغة والفقه والبيئة) وهو على موقع جمعية اللسان العربي الدولية [3].

٢- إعادة الاستخدام والتدوير : تذكر العالم الآن، والآن فقط - وليس قبلا - المخاطر الحقيقية التي تحيق بالإنسان وتحتنك ثروات العالم وطعامه وشرابه، بل وهواءه أيضا ، ومن ثم جاءت الدعوات حتى من أكثر الدول غنى ورفاهية بضرورة الاقتصاد في كل شيء ، بل التقتير والإمساك ، حتى لا يصحو الناس يوما ما دون أن يجدوا شيئا من أقواتهم ، أو ما يكفي منه ، أو ما يقيم الصلب والأود.

(إن ظهور المجتمع الاستهلاكي ... هو الذي خلق جذور الأزمات العالمية ، إن التقاليد المتوارثة في أنماط الاستهلاك والتي انتشرت منذ منتصف القرن العشرين قد جلبت شهية غير مسبوقة للسلع المادية ، وللمواد التي منها صنعت [4]) بل فتحت شهية استهلاك نهم لا يشبع ، ولا ينتهي ، مما سيكون له أثر كبير على الأجيال

(١) ابن حمزة : البيان والتعريف... ٥٧/٣.
(٢) www.geocities.com/abu_alkher
(٣) www.allesan.org
(٤) جون يونج وآرون ساكس : ثورة الكفاية ، ترجمة شويكار زكي، القاهرة ١٩٩٧ ، ص١٤.

القادمة ، خاصة الفقراء منهم، والذين يتحملون على أم رءوسهم كل أخطاء الأغنياء ورزاياهم.

ونعود إلى أحاديث المصطفى (ﷺ) وهديه لنرى ما فيها من إعادة الاستخدام والتدوير :

(أ) في صحيح البخاري [1] :

(عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : كنت عند رسول الله (ﷺ) وهو يأكل جمارا [2] ، فقال : من الشجر شجرة كالرجل المؤمن ؟ .... قال : النخلة).

وفي رواية أخرى : (أخبروني بشجرة كالرجل المسلم ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، لا يتحات ورقها) لا يسقط ، ثم قال : (هي النخلة) [3].

إن هذا يشير إلى أن على المسلم أن يقتدي بالنخلة ، في أن يفيد الناس من جميع الوجوه ، وفي كل الأخلاق ، إذ النخلة يفاد من كل شيء فيها ، بدءا من الخوص والجريد والقنوان والبلح والنوى، وجسم النخلة نفسه ، بل والليف والشوك (السِّل) كما تنطق في مصر ، في لسان [4] العرب (السُّلاءة شوكة النخل ، والجمع سُلاء).

(ب) هذي لقطة من فعل النبي الأكرم (ﷺ) ونور هديه :

(أخذ قبضة من التمر فأكلها ، وألقى النوى بشماله ، فمرت داجنة فناولها فأكلت) حتى النوى كان العرب يستفيدون منه بالطريقة التي سبقت ، أو طحنه ليكون

(١) باب بيع الجمار وأكله.
(٢) يضرب به المثل في حلاوة الطعم وجماله ، الجُمّار واحدته جُمارة ، وهو قلب النخلة ، انظر المعجم الوسيط مادة (ج م ر).
(٣) ابن حمزة : البيان والتعريف ... ٢/ ٤١.
(٤) مادة (س ل ل).

طعام أفراسهم ، ومن ثم كان شهرة الحصان العربي [1].

ونختم الكلام عن النخلة هنا بحديث طريف غاية الطرافة هو : (أكرموا عمتكم النخلة ؛ فإنها خلقت من فضلة طينة آدم ، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من هذه الشجرة ، ولدت تحتها مريم ابنة عمران ، فأطعموا نساءكم الولدَ الرطب ، فإن لم يكن رطبا فتمر [2]).

(جـ) وكان من الدروس المهمة التي تعلمها الفلاح المصري:

أنه ينقل السباخ الذي ينتج عن فضلات الماشية إلى حقله كسماد بلدي ، آمن وفاعل ، ثم عندما يزيد التراب ويعلو في أرضه ، تجده يعود به مرة أخرى لفرشه تحت الماشية ليتحول مرة أخرى إلى سماد ، وهكذا دواليك ، ولو أن الفلاح المصري تخلص من (السباخ) بنفس الطريقة التي تشيع الآن في بعض المجتمعات لملأ اليابسة المصرية كلها والتي تزيد عن مليون ك.م ، بل لضاقت هاتيك اليابسة عن مزيد من السماد البلدي.

ونكتفي بما ذكرنا من أمثلة، ويمكن لمن رام مزيد تفصيل أن يرجع - إذا شاء - إلى دراستنا عن (إنقاذ الثروات المهدرة ...).

٣- الحث على عمل اليد : في دراسة للألفاظ الدالة على أصحاب المهن في الحضارة الإسلامية اتضح لنا أن هاتيك المهن التي نسجت حضارتنا هي في الجزء الأعظم منها مهن يدوية ، تعتمد على عمل اليد ، تيك المهن اليدوية يمكن أن تصل إلى ٩٠% من المحترفين وأصحاب الحرف في الحضارة الإسلامية ،

(١) راجع بحثنا (إنقاذ الثروات المهدرة ..) ص٤.
(٢) السيوطي : الدرر المنتثرة ... حديث ٩٧ والهامش تحته.

مثل (البناء - الحداد - الجاني) الذي يجني المحاصيل ، ومثل : (الدباغ - الخباز - الحطاب - الطحان - الملاح) إلى آخره.

إن هذا يشير إلى تأثير عمل اليد أو العمل اليدوي في المجتمع الإسلامي ، في الحديث الشريف: (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له - أفضل الكسب عمل الرجل بيده ، وكل عمل مبرور [1]) وفي المثل المصري : (اليد البطالة نجسة) أيَ التي لا تعمل [2].

الطعام الذي ننعم في هذي الحياة هو نتيجة الزرع والرعي والصيد بنوعيه ، صيد البر وصيد البحر ، هذي هي المصادر الرئيسة لغذائنا ، وكل هذا لا ينال ولا يظفر به إلا من طريق عمل اليد ، صحيح أنه جدت على الإنسان آلات حديثة معاونة مؤازرة ، ولكن العمل الرئيس هنا هو عمل اليد ، حتى هذي الآلات لا تسير ولا تعمل إلا باليد البشرية.

انظر إلى الحديث الشريف : (تسعة أعشراء البركة في التجارة ، وعشر في السابياء) أي الزراعة والنتاج ، تربية الحيوان [3] ، وفي لسان العرب لابن منظور أيضا : (وفي الحديث : تسعة أعشراء الرزق) بدل : البركة (في التجارة ، وجزء منها) بدل : وعشر (في السابياء) أراد : تسعة أعشار الرزق[4]، وفي أساس البلاغة للزمخشري : (وفي الحديث : تسعة أعشراء الرزق في التجارة) وفي مكان آخر : (وفي الحديث : تسعة أعشار الرزق في التجارة والجزء الباقي في السابياء) وأصلها

(١) السيوطي : الدرر المنتثرة .. ص٣٨٨.

(٢) راجع كتابنا (التراث العربي في كتب تفسير الأحلام ، دراسة في اللغة والثقافة والحضارة) القاهرة ٢٠٠٦ ، ص٩٣ ، ٩٤.

(٣) لسان العرب ، مادة (س ب ي).

(٤) السابق ، مادة (ع ش ر).

الجلدة التي يخرج فيها الولد ، والتي تسمى (المشيمة).

وإذا كانت الزراعة والنتاج (السابياء) لها القدح المعلى في طعام الإنسان وغذائه ، فلماذا قدمت عليها التجارة فكانت هذي الأخيرة 9/10 البركة أو الرزق ؟ في حين نرى - بداهة - أن الزراعة والنتاج هما أساس التجارة، فالإنتاج أولا، ثم التوزيع والمتاجرة ؟.

والحق أن التجارة أهم وأخطر من عملية الإنتاج نفسها - برغم أهمية الأخيرة - كيف ؟ نشير إلى بعض الحقائق ، من أهمها :

(أ) إن عملية الإنتاج سرعان ما تموت وتتلاشى إن لم يواكبها ويوازها الحركة والتوزيع ، فهنا (الحركة بركة - الحركة ولود والسكون عاقر) فإذا امتلكت - عزيزي القارئ - مزرعة أو مصنعا أو مؤسسة تنتج سلعة لا نظير لها في دقتها وأهميتها وحلاوة سعرها ، لكنها لا تباع ، ترى هل تستمر عملية الإنتاج ؟ كلا وألف مثلها ، إنها سرعان ما تتوقف وتموت ، وتذهب إلى غير رجعة.

ولذا حرم الإسلام كنز المال لأنه حبس له عن الحركة وعن مصالح البشر، قال تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) [1].

(ب) ولذا حذر النبي الأكرم من الاحتكار ورغب في جلب السلع إلى الناس ؛ لأن الاحتكار حبس السلعة عن مسارها إلى الناس : (من احتكر فهو خاطئ) وفي رواية: (لا يحتكر[2] إلا خاطئ) يقول العلامة محمد فؤاد عبد الباقي: (إلا خاطئ

(١) سورة التوبة ، الآيات ٣٤ ، ٣٥.
(٢) صحيح مسلم ، باب تحريم الاحتكار في الأقوات.

بمعنى آثم ، أي لا يجترئ على هذا الفعل الشنيع إلا من اعتاد المعصية ، ففيه دلالة على أنها معصية عظيمة ، لا يرتكبها الإنسان أولا ، وإنما يرتكبها بعد الاعتياد ، وبالتدريج).

وفي الحديث الشريف : (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون - من احتكر على المسلمين طعاما ضربه الله بالجذام والإفلاس [1]).

(ج) إن سوء التوزيع أكثر خطرا من شح الموارد ، وسوء التقدير ورداءة التدبير يمكن أن تقضي على خزائن قارون ، في حين تجد حسن التدبير ودقة التقدير تدفع بصاحبها إلى الثراء والغنى وسعادة الدارين ، فهذا عبد الرحمن بن عوف (ﷺ) جاء إلى المدينة المنورة ، ولا شيء معه ، قال له أخوه المهاجر ، سعد ابن الربيع : (هذا مالي، فأنا أقاسمكه) أقاسمك إياه، قال : (بارك الله لك ، ولكن إذا أصبحت فدلوني على سوقكم) ومرت الأيام والسنين ، وإذا عبد الرحمن بن عوف يضرب به المثل في الثراء ، في هذه البيئة التي كانت فقيرة جدا ، حتى قيل عن تركته (وكان فيما ترك، ذهب قطع بالفنوس حتى مَجلت[2] أيدي الرجال منه) فالخوف ليس من الفقر، بل الأخطر سوء التقدير والتدبير ، ففي الحديث : (التدبير نصف المعيشة [3] ....).

قليل من المال والثروة يستر الإنسان خير من كثير من المال يفسد ويطغي الإنسان ، فهذا ثعلبة بن حاطب صاحب القصة المعروفة ، طلب من سيد الخلق (ﷺ) أن يدعو الله له بالغنى والثراء ، فقال له النبي الأكرم : (قليل تؤدي شكره

---

(١) سنن ابن ماجة ، الحديثان ٢١٥٣ ، ٢١٥٥ ، باب الحكرة والجلب.
(٢) مجلت : تقرحت من العمل، وتكون بين الجلد واللحم ماء، انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١٣ ٤، ١٨.
(٣) السيوطي : الدرر المنتثرة ، حديث رقم ١٧٢.

خير من كثير لا تطيقه [1]) وبالفعل انقطع عن الصلاة مع محمد (ﷺ) ثم طولب بالزكاة فاعترض زاعما أنها أخت الجزية ، فأنزل الله (وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ) [2].

(د) وانظر عزيزي القارئ وعزيزتي القارئة في مجال العمل هل تفيد الكثيرة ويجدي العدد الكبير إذا لم نستفد منه ، بل العدد الزائد يضر العمل أكثر مما ينفعه ، فهناك واحد من الناس يساوي ألفا من الآخرين ، وهناك ألف أو أكبر ربما لا يساوون شيئا ، فالناس كإبل مائة ، لا تجد فيها راحلة.

وفي مجال الحرب تنتصر القوة المجهزة المعدة المدربة حين يحسن القادة الإفادة منها ، فإن سوء القيادة وارتباكها لا يجدي شيئا مع عديد القوات وكثيرها ، وسير المعارك منذ فجر التاريخ شواهد مؤكدة على هذا ، فقد انتصر المسلمون في بدر مع أنهم كانوا قلة ، وانهزموا في حنين - أولا - برغم أنهم كثرة ، رفعت شعار (لن نغلب اليوم عن قلة).

وعليه فإن ما يشهده العالم اليوم من أزمة غذاء أو سكن وبناء ، أو سقي وماء لهو في الأول والآخر مفتعل مقصود ، قلة من الأغنياء المترفين المتخمين يتحكمون في أقوات الناس وأرزاقهم ، سعار من اللهاث والركض نحو الاستهلاك المدمر لكل ثروات البشر ، فضلا عن ضياع العادات الأصيلة في إعادة الاستخدام وتدوير المخلفات ، وسوء التعامل معها.

---

(١) ابن حمزة : البيان والتعريف .. حديث رقم ١٢٧٦.
(٢) سورة التوبة ، الآيات ٧٥ ، ٧٦.

فلو رأيت كميات الطعام المهدرة المتبقية من طعام الناس - فقرائهم وأغنيائهم - على السواء لأدركت أن الناس لهم دور كبير أو متواضع موجود على الأقل فيما تروجه وسائل الإعلام ، وفيما يقع حقيقة وواقعا من أزمات الغذاء والبناء والماء.

ولذا فإن أولى خطوات التعامل مع هذي الأزمات هي التدبير الصحيح والاقتصاد الشديد بل التقتير والبعد عن التبذير ، ثم إنقاذ الثروات المهدرة ، المياه التي تهدر ، بقايا الطعام التي تهدر إلى المجاري والمصارف ، حتى لو كان هذا الشيء تافها صغيرا على مستوى الفرد الواحد والأسرة الواحدة ، ثم أن تتحول المخلفات إلى ما ينفع الناس ، ولا يلوث الأرض والهواء والسماء.

انظر عزيزي القارئ إلى حبات الأرز القليلة التي تبقى من طعامك أو من طعام أسرتك ، انظر لو أبقت أسرتك عشر حبات من الأرز لألفيت في مليون أسرة مثلك فعلت نفس الشيء أننا أمام عشرة ملايين حبة أرز مهدرة كم تساوي هيه ؟ فهل هذا يرضي ربنا ؟.

وتذكر - أخا الإسلام - أن سيدك وسيد الأولين والآخرين كان يلعق أصابعه ويلعق الإناء [1]، معنى هذا أن أداة الطعام - يدا أو ملعقة أو شوكة أو سكينا أو غيرها - وكذا ما نأكل فيه لا يصح أن نترك بقية منه يلقى إلى المزابل ومصارف الماء ، أو تلوث به الأرض ، بل يجب أن ينتفع به.

تاسعا : تجريم الغدر والخيانة :

عندما سار أبرهة الحبشي من اليمن إلى مكة لهدم البيت الحرام مر على ثقيف في الطائف ، فقالوا : (أيها الملك إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ، ليس

(1) انظر - النووي : رياض الصالحين... ٢٩٧.

عندنا لك خلاف .... نحن نبعث معك من يدلك عليه) فتجاوز عنهم إلى مكة.

وللتعبير عن حسن النية بعثوا مع أبرهة (أبا رغال يدله على الطريق إلى مكة فخرج أبرهة ومعه أبورغال حتى أنزله المغمّس[1]) بالقرب من مكة (فلما أنزله به ، مات أبورغال هنالك ، فرجمت قبره العرب) يقول ابن إسحاق ت ١٥٣ هـ : (فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمّس [2]) ومعنى هذا أن العرب بقيت ترجم قبره منذ غزو أبرهة عام ٥٧١ م ، حيث أشرق في هذا العام نور سيد الخلق ، محمد (ﷺ) وعلى آله المكرمين ، إلى منتصف القرن الهجري الثاني ، على الأقل ، وربما بعد ذلك ، قرنان من الزمان على الأقل يرجم قبر أبي رغال ، حتى صار رمز الخيانة في تراث العرب وذاكرتهم.

وقد صادف الرسول (ﷺ) غدرات كثيرة وخيانات ، منها ما كان من بني قريظة ومن عضل والقارة ، ويوم بئر معونة.. تظاهر القوم بالإسلام وقدموا للرسول (ﷺ) أغلظ العهود والمواثيق ليعطيهم من يعلمهم أمر دينهم ، ثم غدروا بهم ، وقتلوهم جميعا، في يوم الرجيع سنة ٣هـ غدرت عضل والقارة بستة من خيار الصحابة (رضي الله عنهم) وأرضاهم - وفي بئر معونة سنة ٤هـ غدر عامر بن الطفيل بالصحابي الجليل المنذر ابن عمر الذي بعثه (ﷺ) في أربعين من خيار المسلمين ، فاستشهدوا جميعا (رضي الله عنهم) أجمعين [3].

انظر عزيزي القارئ إلى مصير هذا الخائن أبي رغال ، لم ينل إلا ذل الدنيا وخزي الآخرة ، وانظر إلى هؤلاء الغادرين بصحابة سيد الخلق ، أين ذهبوا الآن ؟

---

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ٤٧/١.

(٢) المغمس : موضع على طريق الطائف / مكة ، على بعد ثلثي فرسخ من مكة = ٣ ك م تقريبا ، إذ الفرسخ ثلاثة أميال ، والميل = ١٦٠٩ أمتار ، انظر : المعجم الوسيط (ف ر س خ - م ي ل).

(٣) انظر تفصيل ما سبق في سيرة ابن هشام ١٨٣/٣ وما بعدها.

لقد ذهب الغادرون إلى مزابل التاريخ ، إن قبلت هذي المزابل ، وفازوا بلعن الناس وسخط الله إلى يوم الدين ، ثم ما ينتظرهم من النيران يوم التغابن ، والعذاب المهين.

أما الصحابة (ﷺ) أجمعين فقد ارتقوا إلى سماء الطهر والشهادة ، فازوا بنعيم الله في الآخرة وحسن الأحدوثة في الدنيا على ألسنة الصالحين من العباد.

ونذكر بعض الآيات التي تجرم الخيانة والغدر، ثم نبين كيف يكون هذا التحريم من محققات ومفردات الأمن والأمان في مجتمعات العباد والمخاليق :

- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [1].
- (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء) [2] برغم خيانة الطرف الآخر المعادي، فإن سيد الخلق لا يُباح له الخيانة، بل يؤمر سيد الخلق بأن يرد عهدهم، ينسحب منه بوضوح وصراحة ، مُعلنا هذا على سواء ، على الجميع.
- (... وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) [3] فالخائن خاسر مهزوم في النهاية.
- إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُور [4] - إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً [5].
- في الحديث الشريف : (أد الأمانة من ائتمنك ، ولا تخن من [6] خانك).
- من أمّن رجلا على دمه فقتله ، فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة [7] إنه لا يوصف بالغدر فقط ، بل يصبح صاحب لواء غدر يوم القيامة.
- (من خان من ائتمنه فأنا خصمه - من خان شريكا له فيما ائتمنه عليه ، واسترعاه

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٢٧.
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٥٨.
(٣) سورة يوسف ، الآية ٥٢.
(٤) سورة الحج ، الآية ٣٨.
(٥) سورة النساء ، الآية ١٠٧.
(٦) ابن حمزة : البيان والتعريف ... حديث ٨٥.
(٧) سنن ابن ماجة ، حديث ٢٦٨٨.

له ، فأنا بريء منه [1]).

وفي تجريم الخيانة والغدر عصمة لك أنت حتى لا تقع في شيء منهما ، حيث المصير الأسود في الدنيا قبل الآخرة ، وفي ذات الوقت فإن هذا التجريم يحجز غيرك من المتعاملين معك والمتداخلين والمخالطين لك من خيانتك أو الغدر بك ، حاجزان مهمان في حياة البشرية يعطيها جزءا من الأمن والأمان في حياتها.

عاشرا : في الفتن والطاعون :

وعندما تقع الفتن ، حيث لا يعرف المرءُ المخطئَ من المصيب ، والمفسد من المصلح تدل الشريعة على احتياط مهم هو اعتزال الفتنة ، وشديد الابتعاد عنها ، وعدم الانخراط فيها ، تخيل أنك وجدت مشاجرة في العمل أو الشارع أو في السكن ، وأنت لا تعرف المتورطين فيها ، ولا أسبابها ، هل تندفع إلى المشتجرين لتصب الزيت على النيران ، تقدم وقودا جديدا للشجار ، أم تعتزل وتحايد حتى تعرف حقيقة الأمر ، كي تتخذ الموقف الصحيح السليم المناسب ؟ اللهم نعم ، اللهم نعم.

قال رسول الله (ﷺ) : (سيكون بعدي فتن كقطع الليل المظلم ، تصدم الرجل كصدم جناة فحول الثيران ، يصبح الرجل فيها مسلما ، ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ، ويصبح كافرا ، فقال رجل من المسلمين :

- يا رسول الله ، فكيف نصنع عند ذلك ؟.
- ادخلوا بيوتكم ، وأخملوا ذكركم.
- أفرأيت إن دُخل على أحدنا في داره ؟
- فليمسك بيديه ، ولتكن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، فإن الرجل يكون فيه الإسلام ، فيأكل مال أخيه ، ويسفك دمه ، ويعصي ربه ، ويكفر خالقه ،

(١) المنذري : الترغيب والترهيب ، ٣١١٣.

وتجب له جهنم [1].

هذا ما يكون من عامة الناس الذين لا يعرفون حقيقة الفتنة وما وراءها ومن يغذيها ، أما العلماء والمستنيرون الذين يعرفون حقائق الأمور وخلفياتها فعليهم واجب الجهاد بالكلمة والقول الحق ، وإيضاح الرؤية للناس ، ولا يتعدى هذا واجب النصح والمشورة دون الانخراط أو الاشتراك في الفتنة.

هذا عنصر أمان وأمن للمجتمع ، إذا اختلطت الأمور على البشر ، ولم يعرفوا المخطي من المحق أن لا يصبحوا طرفا في هاتيك الفتن حتى تنجلي الأمور ، فإن نيران الفتن إن لم تجد وقودا وحطبا سوف تتوقف في النهاية ، وهذا درس مهم للشعوب وعامة الناس أن لا تستدرج إلى حرب أو صراع، لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ليفيد الأغنياء والمترفون ورءوس الفتنة على حساب غيرهم.

وهذا ما أدركته فئات كثيرة في الشعب اللبناني عندما اكتشفوا حقيقة الحرب الأهلية الأخيرة ، أو الفتنة التي استدرجوا إليها ، والتي استمرت = ١٧ سنة ، من ١٩٧٥ - ١٩٩٢، اكتشف الشعب اللبناني أنه كان الضحية الأولى في هذه الفتنة، هو الذي يقتل أو يصاب ، تهدم دوره وتخرب ، تنهار مؤسساته والبنية الأساسية للبلد الذي يعيش عليه.

وحاول أنصار الفتنة إيقاظها من جديد، حتى ينهار الوطن على رءوس فقرائه ولكن الشعب وعى تماما درس الحرب الأهلية الأخيرة والتي قبلها.

والآن نترك الفتنة وحديثها لنشير إلى ما يكون علينا في حالة الطاعون ، والوباء بشكل ، وما هو هدى الشريعة والاحتياط في مثل هاتيك الأزمات :

(١) ابن حمزة : البيان والتعريف .. حديث ٨٧.

لقد خرج عمر بن الخطاب (ﷺ) قاصدا الشام ، حتى إذا كان بسَرْغ [١] لقيه أبو عبيدة عامر بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام ... فدعا من في المكان من مشيخة قريش - من كبار السن - من مهاجرة الفتح ، فاستشارهم ، هل يرجع إلى المدينة ، أم يستمر في السير إلى الشام ؟ فأشاروا على عمر (ﷺ) أن يرجع بالناس ، ولا يقدم بهم على هذا الوباء.

فأذن عمر (ﷺ) في الناس أنه راجع إلى المدينة ، وهنا دار هذا الحوار مع أبي عبيدة الذي قال :

- يا أمير المؤمنين ، أفرارا من قدر الله تعالى ؟
- لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم : نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى ، أرأيت لو كان لك إبل ، فهبطت واديا له عدوتان ، إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، ألست إن رعيتها الخصبة ، رعيتها بقدر الله تعالى ، وإن رعيتها الجدبة رعيتها بقدر الله سبحانه.

وجاء عبد الرحمن بن عوف (ﷺ) من بعض حاجاته ، فقال : إن عندي في هذا علما ، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :

(إذا كان) أي الطاعون[٢] أو الوباء (بأرض وأنتم بها ، فلا تخرجوا فرارا منه ، وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه [٣]) صدق رسول الله (ﷺ).

---

(١) كانت تقع شمال مدينة تبوك على الطريق المؤدية إلى بيت المقدس طريق الحجاج من الشام إلى المدينة ومكة ، والعودة.
أما (عَمَواس) فتقع شمال غرب بيت المقدس بـ ٢٥ ك.م ، قبل أن يهدمها الاحتلال ١٩٦٧ ، ويقيم مكانها متنزها عاما باسم حديقة كندا.

(٢) الطاعون : داء ورمي وبائي ، سببه مكروب ، يصيب الفئران ، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى أو إلى الإنسان ، المعجم الوسيط ، مادة (ط ع ن).

(٣) ابن قيم الجوزية : الطب النبوي ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص٤٢.

وهذا احتياط مهم يحسم الخلاف ، ويضع الحل الصحيح في أي مكان يصاب بالطاعون ، أو أي وباء آخر ، لا يخرج أحد من المكان حتى لا ينتشر خارج مكانه ، وأن لا يدخل المكان أحد من خارجه حتى لا يصاب به.

وقد يقال إن هذا ما أصبح الآن بدهيا ومنطقيا لدى الواعين من الناس ، ولكن ما أصبح الآن بدهيا كان قبل ذلك غير بدهي ، بل وغير معروف لدى عامة الناس ، كما أن خطاب الرسول (ﷺ) للناس مختلف عن أي خطاب ، إنه خطاب مباشر مفهوم، ينفذ إلى القلوب والإفهام والعقول بيسر وسهولة.

<u>حادي عشر : الكفاءة في المناصب والإمارة :</u>

الكفاءة في كرسي الإدارة والإمارة ، بل وفي الزواج أيضا أمر مقرر في شريعة الإسلام ، إن هذا يعطي المجتمع قدرا من الأمن والأمان في تسيير شئونه وتيسير أموره ، فقد حكي أن أحد أهم أسباب انهيار الاتحاد السوفيتي السابق ، أو التعجيل بانهياره ، أن أحد الجواسيس كانت له مهمة بسيطة بادهة ، فإذا رشح اثنان لمنصب ما قدم الأقل والأردأ ، الأبعد عن الكفاءة ، والأقرب [1] إلى الرداءة.

أما في شريعتنا فالكفاءة أس وأساس الاختيار ، والخيانة في هذا الاختيار مما حذرت منه أحاديث سيد الخلق (ﷺ) وهذا طرف من تلك الأحاديث :

١- سئل سيد الخلق : متى الساعة؟ قال: (إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة) ويعود الرجل يتساءل : كيف إضاعتها ؟ قال المصطفى : (إذا وسد الأمر إلى غير أهله ، فانتظر الساعة) وفي رواية البخاري (إذا أسند الأمر إلى غير أهله ، فانتظر

(١) العربية في بلدان عربية ، ص ٧٥.

الساعة [1]) وفي الحديث الشريف [2] أيضا :

٢- (من استعمل رجلا من عصابة ، وفيهم من هو أرضى لله منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين).

٣- (من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا ، حتى يدخله جهنم ...).

٤- (من استعمل عاملا من المسلمين ، وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه ، وأعلم بكتاب الله وسنة نبيه ، فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين).

والآن توقف القلم عن التسطير والكلام ، يوفر بعض المداد للخاتمة ، الذي أتى الآن أوانها ، أو أوان ابتدائها وبدئها :

---

(١) ابن حمزة الحسيني : البيان والتعريف .. حديث ١٧٩.

(٢) النبراوي ، خديجة : موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصاد ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ٣/ ٨٦٠ - ٨٦١.

الخاتمة

وفي مَسْك الختام ، أو مِسْك الختام نقول : من خلال تجاربي المتعددة وخبرتي الواسعة في السفر والترحال والإقامة في أكثر من بلد ، ومن خلال تجارب الآخرين وخبراتهم ، ومن خلال المسموع والمقروء والمطبوع ، والمشاهد لدى القاصي والداني أن بلاد المسلمين أكثر أمنا من غيرها ، وهذا بفضل هذي الشريعة الغراء ، بفضل تطبيق جانب فقط ، أو بعض فقط من الشريعة ، ولو طبقنا جزءا أكبر وجانبا أوسع لحبانا الخالق ، وأتحفنا بمزيد ومزيد من الأمن والأمان.

ومن ثم نسّاءل : هل أن بلاد المسلمين ، أو ذات الأغلبية المسلمة هي خالية تماما من عناصر الخوف والقلق ، لا يعكر صفو أمنها معكر؟ كلا ، كلا ، أو هي واحة الأمن والطمأنينة ، تدنو نسبة الجرائم وتقترب من الصفر ، ما نقول هذا ، ولا ندعي شيئا من هذا ، بل الذي عليه نوكد ونؤكد أن درجة الأمان في بلادنا هي أفضل من غيرها.

بدءا من مصر التي ولدت فيها وعشت فيها من عمري دهرا ، ثم نيجيريا التي عملت فيها عامي ١٩٨٣- ١٩٨٤ ، وأقمت في مدينة (كنو) في الشمال المسلم ، وبرغم كثير من القصص المرعبة الراعبة التي كنا نسمعها - وربما من بني جلدتنا - فإننا كنا نخرج بالليل وفي ساعة متأخرة ، وفي أي وقت بالنهار أيضا ، لم نر شيئا عكر صفونا ، في حين كان المتجه إلى مناطق أخرى ذات أغلبية غير مسلمة إما أن يسرق أو يعتدى عليه أو يفقد حياته ، ولذا كان يفضل صاحب المصلحة أن يستغني عن الأموال الطائلة ، لا يسافر من أجلها فرارا ونجاة بحياته ، وطلبا للسلامة من السرقة والاعتداء.

أحد المصريين الذي اضطر بحكم عمله - كما سلف - أن يقيم في جنوب نيجيريا قال : كنا نعد في المنزل بعض الدولارات (٣٠٠ مثلا) حتى إذا ما اقتحم لص أو قاطع طريق منزلنا افتدينا أنفسنا بهذي الدولارات ، وإلا فإنه يمكن أن يقتلنا .

ولهذا ومن أجل هذا فإن المستعمر المعاصر يحرص في كل بلد يبتلى به على شيء أساس ورئيس هو الإطاحة بالأمن في البلد ، عند القارئ أمثلة فاقعة لا يُغطشها - يخفيها - دعايات الحرية والديمقراطية ، والشيء المسلي المضحك حتى يستلقي الضاحك على قفاه ، ألا وهو يا طويل العمر وأخا العربية حديث المحتل عن الحرية والرفاهية وعن الإصلاح (ها ها ها ها...) يحدث في العراق الدامي وأفغانستان الجريح والصومال ... إلخ إلخ إلخ ، ما يحدث في مثل هاتيك البلدان، ليس معركة أو معارك بين طرف وآخر، وإنما هو هدم لمعبد الأمن والأمان ، على رءوس أصحاب البلد ؟ كلا ، وإنما على رءوس الفقراء الحيارى فيه.

ليست البلدان المستعمرة المحتلة مثل فلسطين المظلومة والعراق المصاب ... وغيرهما ، إنما أيضا أصابع الاستعمار المعاصر لو دخلت بلدا ، فإن أول ما تفسده الأمن والأمان فيه ، لبنان ، باكستان ، الهند أيضا - يا طويل العمر- أمثلة فقط على ما تقوم به أصابع المستعمر القاسي المستكبر من محاولة الإطاحة بأمن الناس وأمانهم.

قطار الخصخصة الذي يدهس المؤسسات ومصالح الفقراء في كل بلد ، هو جاهز هنا للإسهام في الإطاحة بأمن الناس وأمانهم ، إنه شركات الأمن الخاصة الجاهزة لتنفيذ ما يطلب منها ، ثم براءة للدولة أو نظام الحكم الذي استخدمها من كل شيء بشكل أسهل من براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وأمه وأبيه.

بالإضافة إلى نيجيريا ، أقمت في ماليزيا وزرتها مرتين ، زرت تايلاند الجنونية (فطاني) والسعودية حَجة ، وعديدا من العمرات ، ما رأيت إلا خيرا ، وعندما أقمت في أوكرانيا رأيت الناس ـ كما سلف ـ لا يخرجون بالليل إلا ضرورة قاهرة ، ليس عندهم صلاة العشاء ولا الفجر ، فضلا عن المغرب ، وعندما يضطر المرء للخروج ليلا يجد ما يسميه الرسول (ﷺ) : (هدأة الرجل) بسكون الجيم ، وهوَ ما نصح به النبي الأكرم بعدم الخروج في ذياك الوقت.

وقد بشر سيد الخلق أصحابه وهم في مكة ـ لاحظ ـ بدرجة من الأمن والأمان لا يحلم بها أحد من صحبه : (... وليتمن هذا الأمر) الإسلام (حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله ، أو الذئب على غنمه [1]...) وتدل عبارة (أو الذئب على غنمه) إلى المخاوف المعتادة ، كالخوف من البرد أو الحر أو الحيوان المفترس كالذئب والأسد ، أو حتى الكلاب ... إلخ إلا أنه لا يخاف أن يعتدي عليه أحد من البشر ، أو من إخوته بني آدم ، حيث كان سيد الخلق يرد على شكوى الصحابة (ﷺ) من أذى قريش واضطهادهم.

وفي حديث آخر عن عَديّ بن حاتم : بينا أنا عند رسول الله (ﷺ) إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع الطريق فقال : يا عديّ ، هل رأيت الحيرة، قال: لم أرها، وقد أنبئت عنها ، قال سيد الخلق: (فإن طالت بك حياة لترين الظعينة) المرأة المسافرة (ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله [2]).

وقد تم هذا الأمر ، وانتشر الأمن وبَعُد الخوف في بلاد المسلمين بفضل هذا

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، حديث ٣٢٣١.
(٢) رواه البخاري ، انظر سابق : فقه السنة ٣٨/١.

الدين، أو بفضل تمام هذا الدين حيث كان غاية تمامه ـ كما ذكر سيد الخلق ـ أن يسير الراكب ، وحده أو مع غيره من بلد إلى آخر ، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، وليس على نفسه.

ومن ثم يوكد هذا الحديث مرة أخرى أن نعمة الأمن في مجتمعاتنا ، وغيرها من النعم ما كانت إلا بفضل ديننا وشريعتنا الغراء ، حتى يكون كل مسلم على يقين من أن الشريعة جاءت لنفعه وصالحه في الدنيا قبل الآخرة ، أو لسعادة الدارين. ونحن على هذا من الشاهدين المقرين.

والآن في ختم خاتمتنا نسآءل هل الأمن بين الناس هو جانب واحد من جوانب الشريعة ، أو هو الهدف الرئيس للشريعة ، وليس جانبا فقط من جوانبها ، في الحديث [1] الشريف :

(من أصبح منكم معافى في بدنه ، آمنا في سربه ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا) حيزت بمعنى : جمعت ، وفي رواية أخرى : (من أصبح آمنا في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا) [2].

فالأمن جانب واحد من جوانب السعادة والعيش الهانئ في هذي الدنيا ، والجانبان الآخران هما :

- العافية في البدن
- قوت يوم.

قوت يوم فقط ، وليس خزائن ، مثل خزائن قارون من الأقوات والطعام ، ثم برغم هذا إحساس بعدم الارتياح ، وغياب السعادة.

---

(١) سنن ابن ماجة ، حديث ٤١/٤ باب الزهد.
(٢) الجراحي : كشف الخفاء ، حديث ٢٣٧٧.

تخلص أن الأمن لدى الإنسان أحد جوانب السعادة الثلاثة ، أو التي تكتمل بها السعادة ، كما نص الصادق المصدوق صلوات ربي وسلاماتي عليه وعلى آله الطاهرين المطهرين.

والحمد لله في الأول والآخر

والسلام عليكم - قارئيّ الأكارم - ورحمات الله والبركات

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
كلية الآداب بدمياط - قسم اللغة العربية
دمياط الجديدة في ١١ / ٥ / ٢٠٠٨ م

الملاحـــق



طاعون (عَمَواس)

طاعون (عَمَواس) لأنه بدأ بها، فتحها المسلمون ١٣هـ ، في خلافة أبي بكر ، انتشر فيها أو منها طاعون سنة ١٨هـ ، استشهد فيها من المسلمين ٢٥ ألفا ، منهم أبو عبيدة عامر بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وفي العهد الأموي كانت قرية عمواس ضيعة لعبد الملك بن مروان ، ثم انتقلت لخالد بن يزيد ابن معاوية ، وكانت طريق الحجاج المسلمين والمسيحيين القادمين من الساحل الفلسطيني إلى بيت المقدس.

تقع - أو كانت - شمال غرب بيت المقدس بـ ٢٥ ك.م ، ١٥ ك.م جنوب شرق مدينة الرملة ، موقعها استراتيجي مهم ، يشرف على طريق القدس / الرملة / يافا ، وطريق رام الله / غزة ، عمواس تشرف على الطريق بين الساحل والداخل الفلسطيني باتجاهي القدس ورام الله - كما سلف - ومنهما إلى الطريق البري الدولي عبر الأردن نحو العراق أو الشام ، ثم طريق الحرير الذي يعاد إحياؤه الآن ، أو الطريق الدولي الآخر الذي يمر عبر غزة إلى مصر، ثم إلى المغرب العربي ، الطريق الروماني القديم الذي تحاول الدول المغاربية ومصر الآن إحياءه تحت مسمى الطريق الدولي.

عمواس بمعنى الينابيع الحارة ، وكان زمامها أكثر من ٥٠٠٠ دونم - الدونم ألف متر مربع - اشتهرت بالزراعة ، وكان حولها ينابيع كثيرة أفيد منها في الزراعة والشرب ، وصل عدد السكان حسب تعداد ١٩٦١/١١/١٨ إلى ١٩٥٥ نسمة وكان في عمواس مسجدان ومدرسة ابتدائية ، وبعد النكبة أصبح فيها مدرستان ، واحدة للبنين وأخرى للبنات ، كان بها آثار رومانية ومقامات وأضرحة إسلامية.

كان مآلها في النهاية الهدم وطرد سكانها ، ففي يونيه ـ حزيران ـ ١٩٦٧ هدم الاحتلال الإسرائيلي هذه القرية المباركة عمواس ، وأقام مكانها مساكن للمحتلين الغاصبين؟؟ كلا كلا ، لقد أقام مكانه حديقة غناء، هي حديقة كندا ، أو حديقة أيَلون، ولا أدري لماذا نسبوها إلى كندا !!؟.

الصحافي البريطاني اللامع مايكل آدمز مر بهذي الحديقة التي أقيمت على أنقاض عمواس ، وعلى جماجم أهاليها وأسلافهم ، لقد تحدث عنها الرجل في صحيفة الصنداي تايمز البريطانية ، فقال :

وكانت الطريق التي نسير عليها هي طريق عَمَواس ، وعندما وصلنا إلى مكانها وجدنا أن عمواس قد اختفت تماما ، وزالت عن الوجود ... كانت عمواس على خريطة الحج التي أحملها معي ، ولكنها الآن لن توضع على أية خريطة تصدرها إسرائيل ، لأن الإسرائيليين قد محوا كل أثر لها ، نجد مكانها متنزها عاما للمحتلين ، اسمه حديقة كندا ، أو حديقة أيلون.

ونختم الحديث عن (عمواس) بما ذكره معجم بلدان فلسطين ، ثم نقتبس منه خريطة تظهر فيها القرية المذكورة وذلك في الملاحق ، فماذا قال محمد [1] شرّاب :

(عمواس) بكسر العين ، وسكون الميم ، ولعله يثبت هنا النطق الفلسطيني الدارج للقرية ، إذ تذكر في المصادر القديمة (عَمَواس) بفتح العين والميم كليهما ، أو بكسر العين ، وفتح الميم ، ولعل النطق الفلسطيني تفرع من النطق الأخير ، هو فقط أسكن الميم التي كانت مفتوحة ، وهذا جائز في العربية.

---

(١) ص٥٢٦ ـ ٥٤٧.

عِمْواس : قرية تقع جنوب شرق الرملة ، ارتفاعها بين ٢٢٥ إلى ٢٥٠ مترا، فتحها عمرو بن العاص ، فأصبحت مقر جند المسلمين ... احتلها اليهود ١٩٤٨ ، معظم أراضيها ولكن بقى السكان في القرية ، وفي سنة ١٩٦٧ طردت إسرائيل سكان عمواس ، ودمروا بيوتها ، فقد سلف أن اليهود حولوها إلى متنزه عام باسم كندا أو أيالون.

هذي حكاية عمواس التي منها بدأ طاعون ١٨ هـ وفقد المسلمون فيه ٢٥ من خبرتهم ، ومن الملاحظ أن الطاعون بدأ من شمال غرب القدس موقع عمواس والتي كانت معسكرا لجند المسلمين ، أو كوفه الجند ، هذا الطاعون الذي استخدم الفئران ومساعدتها البراغيث وسيلة له ، أو وسيلة نقل إلى البشر قد تحاشى المدينة المقدسة ، بدأ قبلها بـ ٢٥ ك.م ، لتنجو بيت المقدس من هذا الخطر الماحق.

وكان الناس يجهلون هذا السبب المميت ، أو يجهلون أن وراء كل هذا الفئران التي سماها رسول الله (الفويسقة) وحذرهم منها ، ونقتبس من الدميري [1] شيئا - شيئا - عن هذي الفويسقة :

(الفأر) بالهمزة جمع فأرة ، وكنية الفأرة : (أم خراب) ... ومنها فأرة البيت ، وهي الفويسقة التي أمر النبي (ﷺ) بقتلها في الحل والحرم ، لاحظ : إن سيد الخلق يأمر بقتلها حتى في الحرم ؟ حتى في الحرم ، وهو ما كان حريا بتنبه المسلمين إلى خطورتها ، ولكن يبدو أن الحروب والمعارك قد شغلتهم عن كل هذا.

ويبدو أيضا أن الفئران وجدت في عمواس من العيش الهنيء والخصب الشديد ما جعلها تنمو وتتوحش وتتسبب في هذي الكوارث القاصمة ، نعوذ بالله

(١) حياة الحيوان الكبرى ، ١٣٧/٢ ، ١٣٨.

منها ومن شرورها.

وإنما عدت الفأرة من الفواسق لخبثهن ، وقد سئل أبو سعيد الخدري : لم سميت الفأرة الفويسقة ؟ قال : (استيقظ النبي (ﷺ) ذات ليلة ، وقد أخذت الفأرة فتيلة السراج لتحرق على الرسول (ﷺ) البيت ، فقام إليها ، وأحل قتلها للحَلال والمحرم ، حتى لو كان الإنسان محرما فإن عليه أن يقتلها.

وفي حديث آخر : (إذا نمتم فأطفئوا سراجكم ؛ فإن الشيطان يدل مثل هذه على هذا فتحرقكم ، كما أمر سيد الخلق بإطفاء النار عند النوم ، في جوامع الكلم : (لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون حتى تطفئوها).

خلاصة القول : ليس في المخلوقات ما هو أفسد من الفأر ، ولا أقل منه أذى ، إنه لا يبقى على تافه ولا فتيل ولا حقير ولا قطمير ، ولا على جليل خطير كثير ، ولا يأتي على شيء إلا أهلكه وأتلفه ، ولذا عد من الفواسق الخمس ، وهن كما في الحديث : (خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم : الغراب والحدأة والفأرة والعقرب والكلب العقور [1]).

أما البرغوث فهو وإن كان له دور في نقل هذا الطاعون فإن هذا الدور أقل خطورة من دور الفأر الذي يتحرك ويجول في كل مكان ، ويصل إلى غذاء الإنسان والحيوان ، موزعا هذا الداء القاتل على مخلوقات الله ـ سبحانه وتعالى ـ وفي شريعتنا استحباب قتله ـ أي البرغوث ـ في الحل والحرم ، حتى للمحرم نفسه ، ومن ثم فإن قتل هذي الفواسق الخمس سيما الفأر وكذا البراغيث هو أمان للناس من

(١) السابق ٦٢٧/١.

الطاعون ، فإن كل ما جاء في هذي الشريعة الغراء هو لأمن الناس في أسرابهم واطمئنانهم ، وتحاشي خوفهم.

ومما يذكر[1] عن البراغيث أنه يقال له : طامر بن طامر، كنيته : أبو الوثاب ، إذ له وثب شديد طويل قياسا بجسمه الصغير الدقيق ، ومن الطريف أنه يقفز إلى الخلف ليرى من يصيده ويحاول الإيقاع به ، إذ لو وثب إلى الأمام لأمسك به من يطارده.

كما أنه يسطيع مثل النمل الطيران ، ينشأ أولا من التراب سيما في الأماكن المظلمة ، ويكثر أواخر الشتاء وأوائل الربيع ، وهو أحدب على صورة الفيل ، له أنياب يعض بها ، يعرفها من ابتلى به ، وله أيضا خرطوم يمص به الدماء.

وكان إحدى المشكلات لنا سيما في النوم ، خاصة في بيوت اللبن التي كانت سائدة في الريف المصري ، كما أن الأرض كانت مترية ، وفي غياب البلاط أو الأسمنت الذي لم تك تالفة البيوت أيامها، أما الآن فقد اختلف الريف المصري تماما، البيوت بالحجر والأسمنت المسلح ، الأراضي بالبلاط الذي بدأ يختفي ويترك مكانه للسيراميك والفروش الثمينة ... إلخ.

وكنا نستعين على البراغيث بحيل كثيرة منها رش المبيدات السائلة والبُدْرة - المسحوق المميت له - وإخراج القُرش والألحفة - إذ لم تك البطاطين قد ظهرت بعد - والشراشف إلى الشمس لتطهيرها من هذا الكائن المتطفل ، هذا فضلا عن طبق من الماء والصابون فيه مصباح ذي ضوء خافت لاصطياد البراغيث إلى موت محقق في هذا السائل القاتل، وكذا النظافة الدائمة للأرض ورشها بالماء، أو بالماء والصابون،

---

(١) السابق ، انظر ١٧٢/١.

وكنسها باستمرار.

والآن اختفت البراغيث تماما من البيوت فضلا عن أجسام الناس وملابسهم وفرشهم وأغطيتهم ، وبقى البعوض (الناموس) الذي لم يعد له علاج خاصة عند النوم إلا (الناموسية) أرخص وأنجح الحلول، إضافة إلى صواعق الناموس الكهربية والسلك على النوافذ، وإغلاق الأبواب والنوافذ قبل المغرب بوقت كافي، وعدم فتحها إلا لضرورة وبقدر ، أو بقدرها ، وإغلاق الأبواب قبل إضاءة حجرات النوم خاصة، ومن الطريف أن الناموس لازمني منذ النشأة في مسقط رأسي، إلى نيجيريا وماليزيا أيضا، وكنت أستعين عليه بما ذكرت ، إلا أن عروس المدن الجديدة ـ دمياط الجديدة ـ يندر فيها ندرة شديدة هذا البعوض، وكذا في البلدات البعيدة عن الزراعة ، والمدن الكبرى.

وبسبب قلة خطر البراغيث مقارنة بالفئران فإن تأويلها في المنام : أعداء ضعاف طعانون، وتعبر أيضا بأوباش الناس، أما الفويسقة الفأرة فإن تأويلها: امرأة فاسقة ، لأن النبي (ﷺ) قال : (اقتلوا الفويسقة) أو لصّ نقاب ، فمن رأى فأرا ينقب فإنه لص نقاب فليحذره ، وقيل الفأر امرأة يهودية نائحة ملعونة ، أو رجل يهودي فاسق [1] ، أو رأيت إلى خطورة هذا المخلوق على المخاليق.

نترك الفيران والبراغيث والطاعون إلى قرية عمواس التي منها بدأ هذا الطاعون ، لنذكر بأن عمر بن الخطاب (ﷺ) علم بنبأ هذا الداء القاتل وهو في منطقة تبوك ، وبالتحديد في سَرْغ أو سرع ، قال عنها ياقوت الحموي: (سَرْغ ، وسروغ الكَرْم قضبانه الرطبة ، أول الشام وآخر الحجاز ، بين المغيثة وتبوك من منازل حج

(١) السابق ١٤٢/١.

الشام ، أي في طريق حجاج الشام إلى الحرمين ، المدينة ومكة (وهناك لقي عمر بن الخطاب أمراء الأجناد ، بينها وبين المدينة ١٣ مرحلة ، وقال مالك بن أنس : هي قرية بوادي تبوك ، آخر عمل الحجاز الأول).

ابن منظور الإفريقية يقول عنها [1] : (سروغ الكرم قضبانه الرطبة ، الواحدة سَرْغ ، وسرغ الرجل إذا أكل القطوف من العنب بأصولها، وسرغ موضع من الشام، قبل إنه وادي تبوك ، وقيل بقرب تبوك ، وفي حديث عمر (ﷺ) أنه لما خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه الناس، فأخبر بأن الوباء قد وقع بالشام، وهي بسكون الراء وفتحها ، قرية بوادي تبوك من طريق الشام ، وقيل موضع يقرب من ريف الشام).

وقال في مادة (س ر ع) ما يلي : (السّرْع : القضيب من الكرم الغض ، والجمع سُروع).

ومن خلال ما سبق من وصف (سَرْغ) أو (سَرَغ) أو (سَرْع) بأن هذه البلدة كانت تقع شمال مدينة تبوك ، على الطريق المؤدية إلى بيت المقدس ، في أقصى شمال المملكة العربية السعودية الآن ، وبالقرب من الحدود الأردنية الجنوبية مع السعودية.

والآن عودة مرة أخرى إلى البراغيث التي كانت جندا مجهولا خفيا لنشر الطاعون لنذكر أنه عند نهاية الشتاء وبداية الربيع كانت تأتي ما يسمى (براغيث الشتوية) قش الأرز يحرق منه جزء في الشوارع وأمام البيوت ، ثم يقوم الأولاد الصغار بالقفز فوق النيران المشتعلة ، ويبدو أن هذه وسيلة للتخلص من براغيث

---

(١) مادة (س ر غ)

الشتاء ، أو من فورتها وازدياد أعدادها في هذا الوقت من نهاية الشتاء. بعد أن شبعت مصاً للدماء ، حيث وفر لها الشتاء الطويل كمية كبيرة من البشر تتسلى عليهم.

على أي حال إذا كان هذا النوع من المخلوقات يعيش في الظلام والتراب فإن الحرارة والضوء الناجمين عن النيران سوف تذهب بها بعيدا ، ولعلها تقفز هربا من الحرارة ، لتقع في النيران ، أو تلقي بنفسها إلى تهلكة النار ، عودة بلا رجعة إلى الحياة مرة أخرى على حساب البشر ، ومن دمائهم ، وأبشارهم ؟

وإذا كانت البراغيث - يا أغاثك الله منها وأعزك - تزدهر وتكثر نهاية الشتاء ، حيث الضوء الأقل في البيوت ، والتي كانت كثيرة الظلام قليلة الأضواء أو منعدمة ، والناس يلوذون بالبيوت حذروا البرد الشديد، وطين الأمطار في الطرقات ، ثم إغلاق النوافذ القليلة والصغيرة في حجرات النوم والمعيشة ، ومن ثم فإن فكرة براغيث الشتوية هي على العكس تماما تماما ، خروج من هذي الحجَر المغلقة ، نار موقدة متقدة تبعث كثيرا من ضوئها في الطرقات ، ثم اقتراب الأطفال من هذي النيران بالقفز فوقها والالتفاف حولها والاقتراب منهما ، وهو ما يتيح بيئة مناقضة تمام تماما للبيئة التي تكثر فيها البراغيث ، وهي قلة الضوء وكثرة الظلام ، وعدم تجدد الهواء ، إضافة إلى الشيء الأهم ، وهو التراب والغبار.

وانظر - عزيزي القارئ ، يا أعزك الله - وقارن بين الأمر بقتل الفيران والبراغيث ، وبين الأمر الصريح من سيد الخلق - صلى الله عليه وآله - بعدم قتل الضفادع لأن نقيقها تسبيح (١) ؟ فقط ؟ كلا ؛ لأنها لا تؤذي البشر ولا تأكل طعامهم ،

(١) الدميري - حياة الحيوان ...

ولا تؤذيهم ، ولا تنقل إليهم الأمراض والطاعون.

ولذا فإن أي مسلمَ أو أخ لنا في الخلق - يجب أن ينظر إلى أوامر الشريعة كلها حتى فيما يستهان به بجدية كاملة صارمة ، وأن كل هذا في صالح المخاليق ونفعهم في الدنيا قبل الآخرة.

وكان التغاضي من المسلمين في عمواس أو الانشغال عن أمر سيد الخلق لهم بقتل الفيران والبراغيث ، سببا في انتشار هذا الداء القاتل ، خاصة الفيران التي لها حركة بين البشر أوسع ، وضرر أكبر عن البراغيث ذات الحركة المحدودة والضرر الأقل ، على الأقل إذا قورنت بالفيران فهل الضفدع وحده هو الذي حظي بحماية سيد الخلق وحقن دمه ؟ كلا ، وهل الفيران وحدها التي أهدرت دماؤها أو البراغيث وحدها ، وإن كان شدد على الأولى وأفردت بالذكر ، خاصة في إشعال الحرائق بالمنازل ، ومنها محاولة إحراق بيت المصطفى ، وكانت هذي إشارة من سيد الخلق حرية بالمسلمين أن يضعوها أمام نواظرهم ، ولكن قدّر الله وقدّر ، وما شاء أراد وفعل.

قارن أيها المسلم بين الفواسق التي نص عليها الحديث الشريف : (الحية فاسقة ، والعقرب فاسقة والفأرة فاسقة والغراب فاسق [1]) إضافة إلى استحباب قتل البرغوث للحَلال [2] والمحرم ، لماذا عدت هذي المخلوقات فاسقة ولم كان الأمر بقتلها للحلال والمحرم ، قارن هذا كله بنهي الرسول [3] عن قتل الضفدع والنحلة ثم

---

(١) الدميري : ١/٤٠١ ، ١٧٢.

(٢) الحلال عكس المحرم ، والحلال غير المحرم ، ولا ملتبس بأسباب الحج أو العمرة ، انظر المعجم الكبير ٥/٦٢٨ ، مادة (ح ل ل).

(٣) السابق ١/٦٤٧.

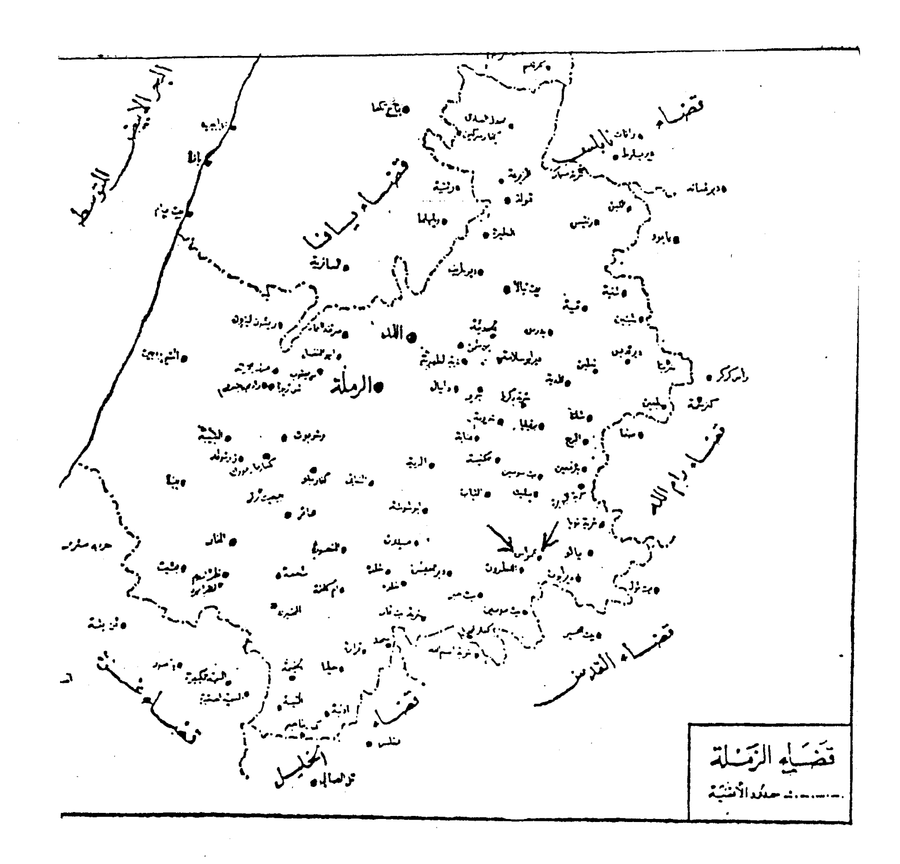
الصُرد [1] ، إن هذي مخلوقات قد يتأذى منها أو من رؤيتها بعض الناس خاصة (الضفدع) لكنها لا تقتل الإنسان أو تؤذيه أو تودي بحياته أو بحياة غيره ، كما تفعل الفواسق الحية أو العقرب أو الفأرة أو حتى الغراب.

فالإنسان نظرته إلى كل شيء في هذي الدنيا هي نظرة رحمة وواقع ، فمن كف عنا شره كففنا عنه كأحسن ما يكون الكف وأشده إخلاصا ، وكذا مخلوقات الله الأخرى ، ما كف عنا ولم يؤذنا آذناه بيننا ، وما آذيناه بالمطلق ، ومن تسبب لنا في أذى أو قتل وهلاك النفس عاملناه بالمثل ، سواء أكان المسلم في إحرام أو غيره ، خاصة هذه الفويسقة الفأرة التي شدد رسول الله على قتلها ، فإن أذاها أكبر من الحية والعقرب، ربما يظفر الواحد منهما بنفس واحدة أو أكثر إلا أنها لا تنشر الوباء الذي حصد الآلاف المؤلفة من الناس ، وغفل المسلمون عن خطره ، وخطر مساعده وساعده الأيمن في نشر الداء القاتل الوبيل النهم الذي لا يشبع ، والذي حصد عشرات الألوف من الأنفس في طاعون عمواس فقط ، هذا الساعد المساعد ، هو هذا المخلوق الصغير البرغوث الذي يستحب قتله ، كما سبق.

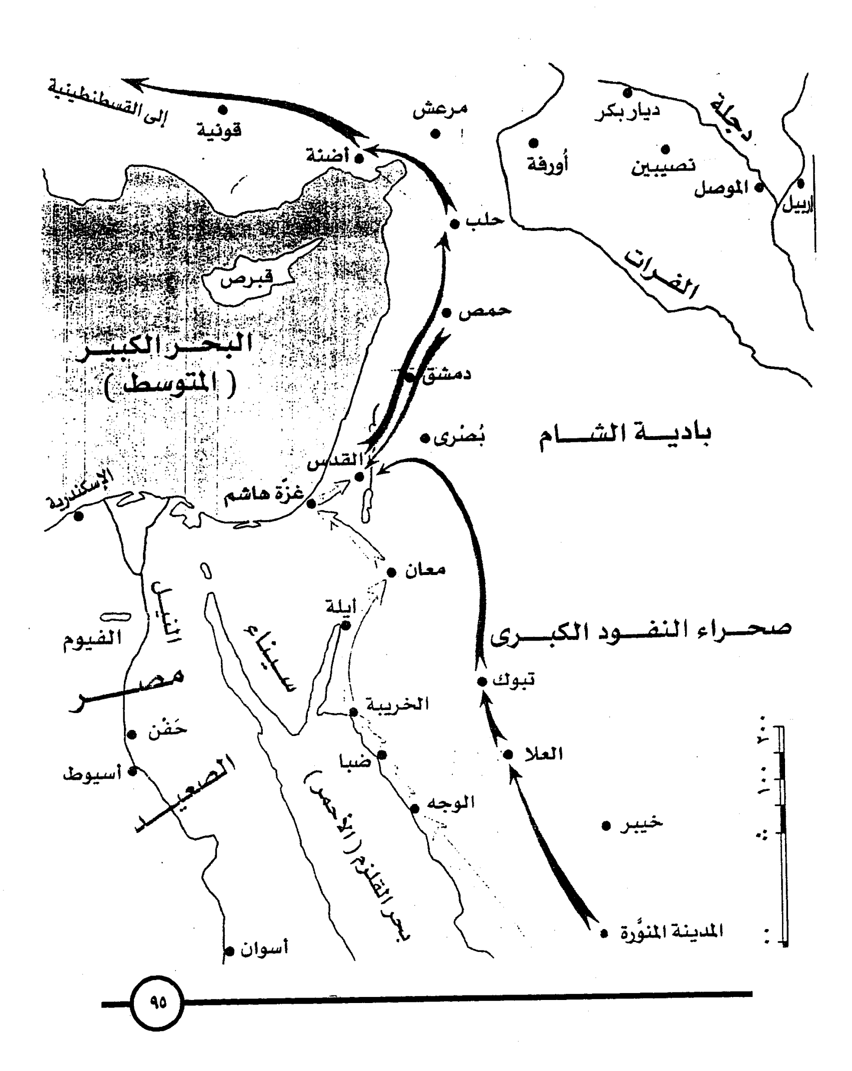
ونختم الحديث هنا بعناية القرآن الكريم بالطير والحيوان والحشرات والمخلوقات الأخرى غير الإنسان ، حتى لقد خصصت سور بأسماء هذي المخلوقات والدواب : (البقرة ـ الأنعام ـ النمل ـ النحل ـ العنكبوت ـ الفيل) فضلا عن ذكر الهدهد والحوت والذئب والحمار والكلب والخيل والأنعام ، ولولا أن هذي الفواسق ـ خاصة الفارة ـ تؤذي وتميت الإنسان وتنشر الوباء الوبيل ما أمر سيد الخلق بقتلها والتخلص منها.

---

(١) الصُرَد : طائر أكبر من العصفور ، ضخم الرأس والمنقار ، يصيد صغار الحشرات ، وربما صاد العصافير ، وكان العرب يتشاءمون به ، ولذا نهاهم المصطفى عن قتله ، انظر المعجم الوسيط ، مادة (ص ر د) ٥٣١/١.



قرية عَمَواس على الخريطة الفلسطينية



إلى القسطنطينية
قونية
أضنة
مرعش
ديار بكر
دجلة
أورفة
نصيبين
الموصل
اربيل
حلب
الفرات
قبرص
حمص
البحر الكبير
(المتوسط)
دمشق
بادية الشام
بُصرى
القدس
غزّة هاشم
الإسكندرية
معان
أيلة
صحراء النفود الكبرى
الفيوم
النيل
سيناء
مصر
تبوك
الخريبة
حَفْن
ضبا
العلا
أسيوط
الصعيد
الوجه
خيبر
بحر القلزم (الأحمر)
أسوان
المدينة المنوَّرة

المحتويـــات

رقم الإيداع بدار الكتب
٢٠٠٨/١٣٧٧٩

دار الأصدقاء للطباعة
المنصورة

جوانب الأمن في الشريعة

ما هو الأمن ؟ ما هي الشريعة ، وما هي الجوانب الأمنية في الشريعة الإسلامية ؟؟ اقرأ هذه الدراسة لتعرف الإجابة عن كل هاتيك التساؤلات ، إن ما ننعم به من أمن في مجتمعاتنا العربية والإسلامية لهو من بركات هذي الشريعة الغراء ؛ ولنا فإن الاحتلال المعاصر أو أصابعه إذا دخلوا بلدا كان أول ما يفسدون ويخربون ويعصفون هو أمن نيك البلد الذي ابتلي بهم ، وهدمه على رءوس أصحابه ، والفقراء منهم على وجه الخصوص ، حيث أغنياء اليوم يوقنون إيقانا أكيد أن سبب مشكلاتهم وتعاساتهم هو وجود هؤلاء الفقراء أنفسهم ، ولذا فهم ماضون ماضون ليس للقضاء على الفقر ، بل القضاء على الفقراء.

أما قيمة الأمن في دنيانا فهو ركن ركين من أركان حيازة الدنيا، ففي الحديث: (من أصبح آمنا في سربه ، معافى في جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا).

صدق سيد الخلق ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين المطهرين

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير
كلية الآداب بدمياط - قسم اللغة العربية
دمياط الجديدة
www.geocities.com/abu_elkher
www.askzad.com
abu_elkher@yahoo.com